IBN BADIS

MAJALIS AL-TADHKIR

2271
.41515
.361

2271.41515.361
Ibn Bādīs
Majālis al-tadhkīr

DATE | ISSUED TO

DATE ISSUED | DATE DUE | DATE ISSUED | DATE DUE

XXXXXXXXXXXX

1983

لفضيلة الاستاذ الرئيس

عبد الحميد بن باديس

رحمه الله

الذكرى الثامنة

٦ جمادى الثانية ١٣٦٧

١٦ ابريل ١٩٤٨

المطبعة الجزائرية الاسلامية بقسنطينة

t.p. after 8p.

Ibn Bādis, ʿAbd al-Ḥamīd

Majālis al-tadhkīr

تفضل فضيلة الأستاذ الجليل كاتب العروبة
الاكبر، وقائد المصلحين الابر، الشيخ سيدي

محمد البشير الابراهيمي

رئيس

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

فكتب لنا هذه المقدمة فجزاه الله عن الاسلام
والعروبة والجزائر خيراً

2271
.4515
.361

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

القرآن كتاب الانسانية العليا استشرفت إليه قبل أربعة عشر قرناً حين ضامها بناؤها فعقوها فارتكسوا فى الحيوانية السفلى فاخلدوا الى الارض فاكثروا فيها الفساد ، فانزله الله من السماء ليصلح به الارض وليدل أهلها المستخلفين عليها من بني آدم على الطريق الواصلة بالله ، ويجدد ما رث من علائقهم به

وما أشد شبه الانسانية اليوم بالانسانية قبيل نزول القرآن فى جفاف العواطف وضراوة الغرائز وتحكم الاهواء والتباس السبل وتحكيم القوة وتغول الوثنية المالية. وما أحوج الانسانية اليوم الى القرآن وهي فى هذا الظلام الحالك من الضلال وقد عجز العقل عن هدايتها وحده كما عجز قديماً عن هدايتها لولا تاييد الله له بالامداد السماوية من الوحي الذي يقوي ضعفه اذا أدركه الوهن ويصلح خطاه اذا أختل ميزانه

وكما أتى القرآن لاول نزوله بالعجائب والمعجزات فى اصلاح البشر فانه حقيق بان ياتي بتلك المعجزات فى كل زمان اذا وجد ذلك الطراز العالي من العقول التي فهمته ، وذلك النمط السامي من الهمم التي نشرته وعممته ، فان القرآن لا ياتي بمعجزاته ولا يؤتي آثاره في اصلاح النفوس الا اذا تولته بالفهم عقول كعقول السلف وتولته بالتطبيق العملي نفوس سامية وهمم بعيدة كنفوسهم

وهمهم . أما انتشاره بين المسلمين بهذه الصورة الجافة من الحفظ المجرد ، وبهذا النمط السخيف من الفهم السطحي ، وبهذا الاسلوب التقليدي من التفسير اللفظي — فانه لا يفيدهم شيئاً ولا يفيد بهم شيئاً . بل يزيدهم بعداً عن هدايته ويزيد أعداءهم استخفافاً بهم وامعاناً فى التكالب عليهم والتحكم فى رقابهم وأوطانهم ؛ ولو فهمنا القرآن كما فهمه السلف ، وعملنا به كما عملوا به ، وحكمناه فى نفوسنا كما حكموه وجعلنا أهواءنا ومشاربنا تابعة له وموزونة بميزانه — لو فعلنا ذلك لكنا به أعزة فى أنفسنا وأئمة لغيرنا .

* * *

تفسير القرآن تفهيم لمعانيه وأحكامه وحكمه وآدابه ومواعظه ، والتفهيم تابع للفهم ، فمن أحسن فهمه أحسن تفهيمه ، ومن لم يحسن فهمه لم يحسن تفهيمه وان كتب فيه المجلدات وأملى فيه ألوف المجالس . وفهم القرآن يتوقف — بعد القريحة الصافية والذهن النير — على التعمق في أسرار البيان العربي ، والتفقه لروح السنة المحمدية المبينة لمقاصد القرآن ، الشارحة لأغراضه بالقول والعمل ، والاطلاع الواسع على فهوم علماء القرون الثلاثة الفاضلة ، ثم على التامل في سنن الله فى الكائنات ودراسة ما تنتجه العلوم الاختبارية من كشف لتلك السنن وعجائبها ، وقد فهمه السلف حق الفهم ففسروه حق التفسير مستعينين على ذلك بما ذكرنا من القرائح والاذهان ، وأسرار البيان ، ومستعينين بارشاده على فقه سنن الاكوان . ولو لم ينحسر تيار الفهوم الاسلامية للقرآن بما وقف فى سبيله من توزع المذاهب والعصبيات المذهبية لانتهى بها الامر إلى كشف أسرار الطبيعة ومكنونات الكون ، ولسبق العقل الاسلامي إلى اكتشاف هذه العجائب العلمية التي هي مفاخر هذا العصر .

كان علماء السلف يشرحون الجانب العملي من القرآن على أنه هداية عامة

لجميع البشر يطالب كل مؤمن بفهمها والعمل بها . وكانوا يتحاشون الجانب الغيبي منه لأنه مما لا يصل إليه عقل المكلف فلا يطالب بعلمه ولا يحاسب على التقصير فيه. وكانوا ينظرون الى الجانب الكوني منه نظرات مسددة لو صحبها بحث مسدد ممن أتى بعدهم .

* * *

وللمفسرين من عهد التدوين الى الان طرائق في فهم القرآن وأساليب في كتابة تفسيره . أما الاساليب فقلما تختلف الا بعد العصور حين تختلف الاساليب الادبية فتنحط او تعلو فيسري التطور منها الى الاساليب العلمية . اما الطرائق فانها تختلف باختلاف الاختصاص في المفسرين والعلوم التي غلبت عليهم وعرفوا بها.

فالمحدثون يلتزمون التفسير بالمأثور ، فان اختلفت الرواية فمنهم من يروي المتناقضين ويدعك في حيرة ، ومنهم من يدخل نظره وفكره في التعديل والترجيح كما يفعل ابو جعفر الطبري .

ومقلدة المذاهب يفسرون القرآن بقواعد مذاهبهم ويحكمونها فيه فاذا خالف نصه قاعدة من قواعدهم ردوه بالتاويل إليها . وهذا شر ما اصيب به هذا العلم، بل هو نوع من التعطيل ، وباب من التحريف والتبديل ، لانه في حقيقة امره وضع لكلام الله في الدرجة الثانية من كلام المخلوق ، وفي منزلة الفرع من اصله يرد إليه إذا خالفه ، واعظم بها زلة ، وان هذه الزلة هي الغالبة من صنيع المفتتنين بالمذاهب والمتعصبين لها يتباعدون عن القرآن ما شاء لهم الهوى . فاذا تناولوه فبهذه النظرة الخاطئة

والمتكلمون في معاني القرآن معظمهم من اللغويين والنحاة فهم يتكلمون غالباً على الالفاظ المفردة واوجه الاعراب فهم اقرب الكاتبين في الغريب امثال الاصفهاني وابي ذر الهروي . وانما أطلقوا على كتبهم هذا الاسم (معاني القرآن)

لأن بساطة الاسماء كانت هي الغالبة في زمنهم .

والأخباريون مفتونون بالقصص فلا يقعون إلا على الايات المتعلقة به ، وياليتهم يحققون الحكمة من القصص فيجلون العبر منها ويستخرجون الدقائق من سنن الله في الامم وجميع الكائنات . ولكنهم يسترسلون مع الرواية وتستهويهم غرابة الاخبار فينتهي بهم ذلك الى الاسرائيليات الخاطئة الكاذبة وقد ادخلوا بصنيعهم هذا على المسلمين ضرراً عظيماً ، وعلى التاريخ فساداً كبيراً .

واصحاب المذاهب العقلية اذا تعاطوا التفسير لايتوسعون الا فى الاستدلالات العقلية على اثبات الصفات اونفيها وعلى الغيبيات والنبوات وما يتعلق بها .

والنحاة والباحثون في اسرار التراكيب لايفيضون الا فى توجيه الاعاريب او فى نكت البلاغة كما يفعل الزمخشري وابو حيان .

هكذا فعل القدماء والمحدثون بالقرآن حكموا فيه نحلهم ومذاهبهم وصناعاتهم الغالبة عليهم ، فاضاعوا هديه وبلاغه وابعدوا الامة عنه ؛ وصرفوها عن حكمه واسراره . ولو ذهبنا مذهب التحديد في معاني الالفاظ الاصطلاحية لوجدنا المفسر من هؤلاء قليلا .

اما المفسرون الذين يصدق عليهم هذا الوصف فهم الذين يشرحون فقه القرآن ويستثيرون اسراره وحكمه معتمدين على القرآن نفسه وعلى السنة وعلى البيان العربي كما اشرنا الى ذلك قبلا . ومن هؤلاء من اقتصر على الأحكام فقط كابن العربي والجصاص وعبد المنعم بن الفرس وهؤلاء الثلاثة هم الذين انتهت الينا كتبهم . ومنهم من عمم ولكن توسعه ظاهر فى الأحكام احكام العبادات والمعاملات كالقرطبي وابن عطية واضرابهما

* * *

وكان خمود وكان ركود ، وضرب التقليد بجرانه فقضى على ذكاء الأذكياء

وفهم الفهماء الى ان اذن الله للعقل الاسلامي ان ينفلت من عقال التقليد ، ويستقل في الفهم، وللنهضة العلمية الاسلامية ان يتبلج فجرها ؛ ويعم نورها . فكانت ارهاصات التجديد لهذا العلم ظاهرة في ثلاثة من اذكى علمائنا واوسعهم اطلاعاً : الشوكاني والالوسي وصديق حسن خان . على تفاوت بينهم في قوة النزعة الاستقلالية ، وفي القدرة على التخلص من الصبغة المذهبية التقليدية . ثم كانت المعجزة بعد ذلك الارهاص بظهور إمام المفسرين بلا منازع محمد عبده ابلغ من تكلم في التفسير بياناً لهديه وفهماً لاسراره وتوفيقاً بين آيات الله في القرآن ، وبين آياته في الاكوان . فبوجود هذا الامام وجد علم التفسير وتم ولم ينقصه الا انه لم يكتبه بقلمه كما بينه باسانه ؛ واو فعل لابقى للمسلمين تفسيراً لا للقرآن بل لمعجزات القرآن ؛ ولكنه مات دون ذلك فخلفه ترجمان أفكاره ومستودع أسراره محمد رشيد رضا فكتب في التفسير ما كتب ودون آراء الامام فيه . وشرع للعلماء منهاجه ومات قبل ان يتمه ؛ فانتهت إمامة التفسير بعده في العالم الاسلامي كله إلى اخينا وصديقنا ومنشيء النهضة الاصلاحية العلمية بالجزائر بل بالشمال الافريقي عبد الحميد بن باديس .

* * *

كان للاخ الصديق عبدالحميد بن باديس رحمه الله ذوق خاص في فهم القرآن كانه حاسة زائدة خص بها . يرفده — بعد الذكاء المشرق ؛ والقريحة الوقادة ؛ والبصيرة النافذة — بيان ناصع ؛ واطلاع واسع ؛ وذرع فسيح في العلوم النفسية والكونية وباع مديد في علم الاجتماع ؛ وراي سديد في عوارضه وامراضه . يمد ذلك كله شجاعة في الراي وشجاعة في القول لم يرزقهما إلا الافذاذ المعدودون في البشر . وله في القرآن راي بنى عليه كل أعماله في العلم والاصلاح والتربية والتعليم . وهو انه لا فلاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هديه والاستقامة على طريقته ؛ وهو

راي الهداة المصلحين من قبله . وكان يرى — حين تصدى لتفسير القرآن — ان في تدوين التفسير بالكتابة مشغلة عن العمل المقدم وإضاعة لعمر الضلال. لذلك آثر البدء بتفسيره درساً تسمعه الجماهير فتتعجل من الاهتداء به ما يتعجله المريض المنهك من الدواء ، وما يتعجله المسافر العجلان من الزاد . وكان — رحمه الله — يستطيع ان يجمع بين الحسنيين لولا انه كان مشغولا مع ذلك بتعليم جيل وتربية أمة ومكافحة امية ومعالجة أمراض اجتماعية ومصارعة استعمار يؤيدها . فاقتصر على تفسير القرآن درساً ينهل منه الصادى ؛ ويتزود منه الرائح والغادي؛ وعكف عليه إلى أن ختمه في خمس وعشرين سنة . ولم يختم التفسير درساً ودراية بهذا الوطن غيره منذ ختمه ابو عبد الله الشريف التلمساني فى المائة الثامنة

كان ذلك الاخ الصديق رحمه الله يعلل النفس باتساع الوقت وانفساح الاجل حتى يكتب تفسيراً على طريقته في الدرس وكان كلما جرتنا شجون الحديث إلى التفسير يتمنى علي أن نتعاون على كتابة التفسير ويغريني بان الكتابة علي أسهل منها عليه . ولا أنسى مجلساً كنا فيه على ربوة من جبل تلمسان في زيارة من زياراته لي وكنا في حالة حزن لموت الشيخ رشيد رضا قبل أسبوع من ذلك اليوم فذكرنا تفسير المنار ؛ وأسفنا لانقطاعه بموت صاحبه فقلت له ليس لاكماله إلا أنت . فقال لي ليس لاكماله إلا انت . فقلت له : حتى يكون لي علم رشيد وسعة رشيد ومكتبة رشيد ومكاتب القاهرة المفتوحة في وجه رشيد . فقال لي واثقاً مؤكداً : إننا لو تعاونا وتفرغنا للعمل لاخرجنا للامة تفسيراً يغطى على التفاسير من غير احتياج إلى ما ذكرت.

ولما احتفلت الامة الجزائرية ذلك الاحتفال الحافل بختمه لتفسير القرآن عام ١٣٥٧ هـ وكتبت بقلمي تفسير المعوذتين مقتبساً من درس الختم واخرجته في ذلك الاسلوب الذي قراه الناس في مجلة الشهاب اعجب به ايما اعجاب؛ وتجدد

امله في ان نتعاون على كتابة تفسير كامل . ولكن العوارض باعدت بين الامل والعمل سنتين . ثم جاء الموت فباعد بيني وبينه . ثم الحت الحوادث والاعمال بعده فلم تبق للقلم فرصة للتحرير ولا للسان مجالا في التفسير . وإنا لله

* * *

لم يكتب الأخ الصديق اماليه فى التفسير ولم يكتب تلامذته الكثيرون شيئا منها ؛ وضاع على الأمة كنز علم لا يقوم بمال ؛ ولا يعوض بحال . ومات فمات علم التفسير وماتت طريقة ابن باديس فى التفسير ، ولكن الله تعالى ابى الا ان يذيع فضله وعلمه ؛ فالهمه كتابة مجالس ممدودة من تلك الدروس وكان ينشرها فواتح لأعداد مجلة الشهاب ويسميها (مجالس التذكير) وهي نموذج صادق من فهمه للقرآن وتفسيره له . كما انها نموذج من اسلوبه الخطابي واسلوبه الكتابي .

هذه المجالس العامرة هي التي تصدى الاخ الوفي السيد احمد بوشمال عضد الامام المفسر وصفيه وكاتبه والمؤتمن على اسراره — لتجريدها من مجلة الشهاب ونشرها كتابا مستقلا ؛ قياما بحق الوفاء للامام الفقيد واحياء لذكراه باشرف اثر من اثاره . وهاهوذا بين ايدي القراء يستروحون منه نفحات منعشة من روح ذلك الرجل العظيم ؛ ويقرءونه فلا يزيدهم عرفانا بقدره فحسبهم ما بنى وشاد ؛ وعلم وافاد ؛ وما ربى للأمة من رجال كالجبال ؛ وما بث فيها من فضائل واداب ؛ وما ابقى لها من تراث علمي خالد . لا يرثه الأخ عن الأخ ؛ ولا الولد عن الوالد .

وشكرا للاخ الوفي احمد بوشمال على هذا العمل الذي هو عنوان الوفاء

محمد البشير الابراهيمي

كتاب

من كلام الحكيم الخبير وحديث البشير النذير

وذكر فيها الذكرى تنفع المؤمنين

لفضيلة الاستاذ الرئيس

عبد الحميد بن باديس

رحمه الله

نشر وطبع

المطبعة الجزائرية الاسلامية

والحقوق محفوظة لها

مجالس التذكير

ننشر في هذا الباب (من مجلة الشهاب) ما فيه تبصرة للعقول، او تهذيب للنفوس، من تفسير آية كريمة، او حديث شريف، او توضيح مسالة في أصول العقائد او أصول الاعمال معتضدين بانظار أئمة السلف الذين لا يرتاب في رسوخ علمهم، وكمال إيمانهم وأئمة الخلف الذين درجوا على هديهم في نمط وسط بين الاستقصاء والتقصير

عبد الحميد بن باديس

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

بقلم المؤلف

وهي خطبة افتتح بها - رحمه الله - درس التفسير

عام ١٣٥٢ هـ *

الحمد لله حمدا كبيرا كثيرا، ومجده أكبر، ورفده أكثر، والشكر لله شكرا جزيلا وفيرا، ونعمته أجزل، ورحمته اوفر، احمده قذف بالحق على الباطل فدمغه فأزهقه، واشكره نصر حزب الحق وبحلية آلائه طوقه، وخذل حزب الباطل وبغصة كيده اشرقه، فله الحمد، وله الشكر بدءا وعودا رب العالمين.

واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له، توحيدا خالصا له في ألوهيته وربوبيته

وأشهد ان محمدا عبده ورسوله تصديقا صادقا له في نبوته ورسالته، شهادة تنكب بها عن سبل الغالين والمقصرين

* الشهاب ج ١٣ مجلد ٩

ونكون بها على ملة ابراهيم ـ عليه السلام ـ و«ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما، وما كان من المشركين»

ونرجو بها من فضل ربنا ان نكون مع الذين انعم الله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين

والصلاة والسلام على الشاهد المبشر النذير، الداعي الى الله باذنه والسراج المنير، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب العربي القرشي الهاشمي امام الانبياء وخاتم المرسلين، ورضي الله عن آله الطيبين الطاهرين، وعن اصحابه الهادين المهتدين وعن أيمة الهدى من صالح سلف المؤمنين، وعن التابعين لهم باحسان من جميع المسلمين

اما بعد فقد عدنا ـ بفضل الله ـ الى رياض القرءان المونقة، وانهاره العذبة المتدفقة، وانواره الواضحة المشرقة.

نتعلل بمواعظه الملينة للصخور، ونتعالج بدوائه الشافي لما في الصدور ونستهدي بهداه الموضح للصراط المستقيم، ونستنزل رحمته العامة للمؤمنين.

وعدنا ـ والحمد لله ـ الى مدارسة القرءان العظيم الذي(١)

(١) قد وصف القرآن العظيم بهذه الصفات في حديث الترمذي وغيره

أنزله الله آمرا وزاجرا وسنة خالية ومثلا مضروبا فيه نبؤنا وخبر من كان قبلنا وحكم ما بيننا لا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضي عبره، ولا تفنى عجائبه لا يشبع منه العلماء، ولا تزيغ به الاهواء، هو الحق ليس بالهزل.

من قال به صدق، ومن حكم به عدل، ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم من طلب الهدى في غيره أضله الله، ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم، هو النور المبين. هو الصراط المستقيم. هو حبل الله المتين فمن تمسك به نجا. ومن تركه كان من الهالكين — عياذا بالله السميع العليم.

فالله نسأل — كما وفقنا لقراءته ومدارسته — ان يوفقنا لفقهه ومتابعته. وان يجعله — في الدارين — حجة لنا لا علينا. وان يكون نورا لنا في الدنيا والاخرة. وفي عرصات القيامة، وعلى متن الصراط حتى ندخل معه الجنة دار السلام بسلام آمنين

آمين يا رب العالمين

التذكير

حقيقته ؛ حاجة الخلق اليه ؛ القائمون به ، تذكير النبي (ص) ما كان يذكر به من كان يذكر
مشروعية التذكير في الاسلام

حقيقة التذكير ان تقول لغيرك قولا يذكر به ما كان به جاهلا او عنه ناسيا او غافلا ، وقد يقوم الفعل والسمت والهدي مقام القول فيسمى تذكيرا مجازا وتوسعا. ويجمع الثلاثة قولك : عباد الله الصالحون يذكرون الخلق بالخالق باقوالهم واعمالهم وسمتهم .

وحاجة العباد الى هذا التذكير اعظم ما يحتاجون اليه واشرفه والزمه ، فان سعادتهم الحقيقية فى هذه الحياة بانارة عقولهم ، وزكاة نفوسهم ، واستقامة سلوكهم ، وفى الحياة الاخرى بنعيم الجنان وحلول الرضوان — انما هي بايمانهم بربهم وشكرهم له . وان دلائل وجوده ووحدانيته وقيوميته ، وآثار فضله واحسانه ورحمته — ماثلة فى الكون بادية للعيان ، داعية الى الشكر هادية الى الايمان . لكن العقول كثيرا ما تكون مغلولة بقيود اهوائها ، محجوبة بحجب غفلتها ، فتعمى عن تلك الدلائل والآثار فتكفر كفر جحود وعناد او كفر عصيان وطغيان ويكون تورطها فى كبائر الذنوب وصغائرها على مقدار تلك الحجب وتلك القيود . وليس — غير من عصم الله — انفكاك او خروج منها كلها . فهم اذن باشد الحاجة الى تذكيرهم بتلك الدلائل وتلك الآثار ليحصلوا اسباب سعادتهم بالايمان والشكر

قد علم الله حاجة عباده الى التذكير فاصطفى منهم رجالا انعم عليهم بكمال

الفطرة ووقاية العصمة وارسلهم لتذكير العباد ، (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما) ، (وما اهلكنا من قرية الا لها منذرون ذكرى ، وما كنا ظالمين) فالانبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام هم أولوا هذا المقام الجليل مقام التذكير ثم من بعدهم ورثتهم من العلماء العاملين .

قد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم على سنة اخوانه من الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام في القيام بتذكير العباد ، ممتثلا أمر ربه تعالى له بقوله (فذكر انما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) اذ السيطرة لا تكون على القلوب ، والايمان — وهو من أعمال القلب — لا يكون بالاكراه وانما يكون بذكر الحجج والادلة ، وكذلك كانت سنة المرسلين فى الدعوة الى الله كما قصها علينا القرءان الكريم في كثير من السور والآيات

كان صلى الله عليه وآله وسلم يذكرهم بقوله وعمله وهديه وسنته ، وكان ذلك كله منه على وفق هداية القرءان وحكمه ، وقد قالت عائشة الصديقة رضوان الله عليها لما سئلت عن خلقه — والخلق هو الملكة النفسية التي تصدر عنها الاعمال — قالت : كان خلقه القرءان فكان تذكيره كله بآيات القرءان : يتلوها ويبينها بالبيان القولي والبيان العملي ممتثلا فى ذلك كله أمر ربه تعالى له بقوله : (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) فالقرءان وبيانه القولي والعملي من سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهما يكون تذكير العباد ودعوتهم لله رب العالمين ومن حاد في التذكير عنهما ضل وأضل وكان ما يضر أكثر مما ينفع ان كان هنالك من نفع

كان صلى الله عليه وآله وسلم لا يفتا مذكرا للمومنين والكافرين والله يهدي من يشاء ويوفق من يريد . وقد أمر بالتذكير مطلقا فى قوله تعالى (فذكر انما أنت مذكر) وكانت سيرته العملية فى التذكير هي العمل بهذا الاطلاق فما كان يخص قوما دون قوم في الدعوة والتذكير فكانت هاته السنة العملية دليلا على أن ما جاء

على صورة التقييد في بعض الايات ليس المراد منه التقييد ، ومن ذلك قوله تعالى (فذكر ان نفعت الذكرى) فالشرط الصوري هو للاستبعاد أي استبعاد نفع الذكرى فيهم ولا يزال من اساليب العربية في لسان التخاطب الدارج بيننا قول الناس لبعضهم : « كلمه فى كذا اذا نفع فيه الكلام » استبعادا لنفوه فيه . ومن ذلك قوله تعالى (فذكر بالقرءان من يخاف وعيد) فليس ذكر المفعول للتقييد وانما هو للتنبيه على انه هو الذي ينتفع بالتذكير نظير قوله تعالى : (هدى للمتقين)

والحاجة العباد للتذكير ومنزلته من الدين شرعه الله للمسلمين شرعا موقتا فى خطب الجمع والاعياد ، وشرعا مرسلا موكولا للمذكرين على ما يرونه من نشاط الناس وحاجتهم ، كما كان يتخول النبي صلى الله عليه وآله وسلم الناس بالموعظة وطلبه طلبا عاما من جميع المومنين فى قوله تعالى : (وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) فى صفة المؤمنين العاملين .

وسيكون هذا اباب من المجلة * مجالا لفنون من التذكير جعلنا الله والمؤمنين من أهل الذكرى ونفعنا بها دنيا وأخرى

* الشهاب رمضان ١٣٤٧ هـ

الفرقان

« تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين »
« نذيرا الذي له ملك السموت والارض ولم يتخذ ولدا »
« ولم يكن له شريك فى الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا »

المفردات : « تبارك » مادة ب ر ك كلها ترجع الى معنى الثبوت منها بروك الابل استناختها ، والبركة كالقربة مثل الحوض يثبت فيها الماء ، والبراكاء الثبات في الحرب ، ومنها البركة بمعنى النماء والزيادة ولا ينمو ويزيد الا ما كان ثابت الاصل وشأن ثابت الاصل ان ينمو ويزيد فلم تخرج عن معنى الثبوت . وتبارك من البركة فمعناه تزايد خيره والله تعالى له الكمال ومنه الانعام فتبارك اي تزايد كماله وانعامه فلا تحصى انعاماته ولا تحد كمالاته . وثبوت الكمال ينافي وينفي ضده فيقتضى التنزه عن النقص فانتظم اللفظ ثلاثة معاني التنزه عن النقص والاتصاف بالكمال والافاضة للانعام فتبارك (تقدس وتعاظم) الفعل الاول مفيد للاول والفعل الثانى مفيد للثاني والثالث «نزل» مادة ن ز ل كلها ترجع الى معنى الهبوط من عل والحلول في اسفل . ونزل المضاعف ابلغ فى المعنى من انزل وقد يفيد كثرة النزول كما هنا لانه نزله مفرقا على نيف وعشرين سنة . وقد يفيد القوة في نزول واحد كما في « لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » لان تنزيل الجملة اقوى من انزال التفصيل « الفرقان » اصله مصدر فرق بمعنى فصل وهو ابلغ في الدلالة على المعنى من فرق المصدر المجرد بما فيه من زيادة الالف والنون كما كان القرءان ابلغ من القراءة لذلك . وهو هنا اسم

من اسماء هذا الكتاب الكريم « نذير » مادة ن ذ ر كلها ترجع الى الاعلام والتحتيم فمنها نذر على نفسه الصوم اوجبه وحتمه واعلم به ونذر بالعدو كفرح علم به وانذره اعلمه ولا يستعمل الا في ابلاغ ما فيه تخويف فهو اعلام بتاكيد وتحتيم . ونذير هنا بمعنى منذر من فعيل بمعنى مفعل .

التراكيب : « الذى نزل » عرف المسند اليه بالموصولية لزيادة تقرير الغرض الذي اليه سيق الكلام لان الغرض بيان كمالات الله تعالى وانعاماته وتنزيل الفرقان منها فهو من اعظم نعم الله على البشر ومن آيات الله الدالة على قدرته وعلمه وحكمته . « عبده » اضافة تشريف لانه اكمل العباد

المعنى : تقدس وتعاظم الرب الذي نزل الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل والهدى والضلال وحزبيهما من الناس مفصلا آيات آيات على محمد — صلى الله عليه وآله وسلم — اكمل عباده ليكون بذلك الكتاب لجميع الانس والجن منذرا لهم يعلمهم بعذابه ويخوفهم بشديد عقابه ان لم يعبدوه وحده ويخلعوا غيره من آلهتهم الباطلة ويدخلوا فى الدين الذي جاءهم به وهو الاسلام .

توحيد : هذا الفعل وهو « تبارك » لا يسند الا الى الله تعالى . ذلك لان العظمة الحقيقية بالكمال والانعام والتقدس بالتنزه التام ليسا الا له وما من كامل من مخلوقاته الا وهو — جل جلاله — الذى كمله وما من منعم عليه منهم إلا وهو تعالى الذي انعم عليه وما من زكي منهم الا وهو — سبحانه — الذي زكاه

سلوك : هذا الرب الكامل المكمل المنعم المتفضل القدوس المقدس هو الذي انزل هذا الفرقان فاذا اردت ان ترقى في درجات الكمال وتظفر بانواع الانعام وتزكي نفسك الزكاء التام فعليك بهدي هذا الفرقان فهو بساط القدس . ومعراج الكمال ومائدة الاكرام وقد سئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلق النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالت كان خلقه القرآن .

تفقه واستنباط : لما سمى الله كتابه الفرقان علمنا انه به يفرق بين الحق والباطل واهل هذا وذاك فهو الحكم العدل والقول الفصل بين كل متنازعين يدعي كل منهما انه على الحق فيما هو عليه من عقد او قول او عمل فما تقابل حق وباطل وما تعالجت حجة وشبهة الا وفي هذا الكتاب الحكيم ما يفرق ما بينهما وانما يتفاوت الناس في ادراك ذلك منه على حسب ما عندهم من قوة علم وصدق بصيره وحسن اخلاص فعلينا — اذا — ان يكون اول فزعنا فى الفرق والفصل اليه ، وان يكون اول جهدنا في استجلاء ذلك من نصوصه ومراميه مستعينين بالسنة القولية والعملية على استخراج لآليه . فاذا حكم قبلنا وسلمنا وكنا معماحكم لهوفارقنا ما حكم عليه ؛ فالله سماه الفرقان لنعلم انه فارق بنفسه . ولنعمل بالفرق به ولا يكمل ايماننا بانه الفرقان الا بالعلم والعمل .

ولما جعل — تعالى — غاية تنزيل الفرقان ان يكون عبده نذيرا اقتضى ذلك ان نذارته تكون بالفرقان لتقوم الحجة وتتم الحكمة . وتحصل الفائدة وتشمل النعمة . وقد صرح بهذا في قوله تعالى بالاعراف «كتاب انزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به» وبالانعام «واوحي الي هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ» وبالنمل «انما امرت ان اعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شيء وامرت ان اسلم وان اتلو القرآن» وبق «فذكر بالقرآن من يخاف وعيد» وبالتوبة «وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله» فعلينا — اذا — ان نعلم ان القرآن هو كتاب النذارة والهداية فنستخرج اصولهما وفنونهما من آياته وهذا حظ العلم . وان يكون اهتداؤنا فى انفسنا وهدينا لغيرنا به وهذا حظ العمل وهما ركنا الايمان .

تطبيق وتحاكم : في العالم الاسلامى كله اليوم طائفتان من المؤمنين تتنازعان خطة الهداية والنذارة والتذكير ولكل منهما في سلوكها للقيام بتلك الخطة سبيل

وكل منهما تدعى انها هي التى على الصواب وانها الاحق والاولى بنفع العباد . فراينا ان نطبق فصل الفرقان عليهما و ننظر كيف يفرق ما بينهما وبين المصيبة من المخطئة منهما وفي ضمن ذلك تحاكمهما اليه وفصل النزاع بينهما بحكمه . وانما اخترناهما للتطبيق والتمثيل لخطر الخطة التى تنازعا عليها ؛ وعظيم النفع والضرر الذى يحصل من خطا المخطىء وصواب المصيب بها ، ولان الهداية والنذارة والتذكير امور لها انزل القرآن فتنازعهما عليها تنازع عليه فاحق فصل نمثل به لنعلمه هو فصله بين المتنازعين فيه . وهانحن نعرض بعض حال كل طائفة في قيامها بالخطة ثم نسوق آيات القرآن وننظر من اسعد الطائفتين بها :

الطائفة الاولى — يذكرون من يدعونهم بغير القرآن باحزاب واوراد من وضعهم لا مما ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم الا قليلا . ولهم عليهم فى اموالهم حق فى اوقات من السنة معلومة

والطائفة الثانية يذكرون الناس بالقرآن فيامرونهم بقراءته وتدبره ويبينون لهم معانيه ويحثونهم على التمسك به والرجوع اليه

ويدعونهم الى الاذكار النبوية الثابتة في الكتب الصحاح لرجوعها الى القرآن بحكم قوله تعالى « وما آتاكم الرسول فخذوه » ولا يطلبون عليهم فى ذلك أجراً .

والله تعالى يقول في الحال الاول « فذكر بالقرآن » وغيرها من الايات المتقدمة فى هذا المجلس ويقول — تعالى — في الحال الثاني لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم - (قل ما أسئلكم عليه من أجر إلا من شاء ان يتخذ إلى ربه سبيلا) (قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى) ويقول في آية صريحة صراحة تامة في بيان من يجب ان يتبع من الدعاة (اتبعوا من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون) ومن هم المهتدون ؟ هم المتبعون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لقوله

تعالى في الاعراف (فئامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون) واتباعه بالنسبة لموضوعنا هو اتباعه في طريق دعوته الخلق الى الله وقد ثبت بالقرآن انه كان يدعو بالقرآن ويذكر به وانه لا يسئل على ذلك أجراً

بان — والحمد لله — بما ذكرنا حكم القرءان بين الطائفتين واتضح طريق الحق فى الدعوة والارشاد لمن يريد سلوكه منهما . والله نسئل لنا ولهم قبول الحق والتعاون عليه والقوة والاخلاص فى الصدع به والثبات عليه و (يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء) .

منزلة الرسالة العلية
والضرورات البشرية
« وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام »
« ويمشون في الاسواق »

المناسبة : لما طعنوا فى رسالته بانه بشر يفعل ما يفعله البشر بقولهم (مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي فى الاسواق) رد الله عليهم بان هذا هو حال جميع المرسلين من قبله واحتج عليهم بما يعلمون من ذلك بما يسمعون من اهل الكتاب جيرانهم وبما عندهم من أخبار عاد وثمود من بني جلدتهم .

المفردات : الارسال هو البعث لتبليغ شيء او قضائه . وفى لسان الشرع هو انزال الله تعالى الوحي على من اصطفاه من خلقه لينذر به من امره بانذاره . من قوله تعالى (وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين) فالرسالة وحي مع امر بالتبليغ

التراكيب : مفعول ارسلنا محذوف تقديره رجالا وعليه عاد الضمير في انهم وهو صاحب الحال والحال هي الجملة التى بعد الا والجملة الثانية حال بالعطف على الاولى والاستثناء مفرغ من الاحوال، وتقدير الكلام : وما أرسلنا قبلك رجالا من المرسلين إلا حالة انهم ليا كلون الطعام ويمشون في الاسواق . اي ماأرسلناهم فى حالة من الاحوال إلا في هذه الحال . وان واللام والحصر بما والا كل هذه لتاكيد المعنى الذي سيق اليه الكلام وهو اثبات ان رسول البشر لا يكون إلا بشراً رداً على منكري ذلك من المشركين . وعبر بالمضارع في ياكلون ويمشون لان ذلك من ضرويات بشريتهم فهو يتجدد ويتكرر منهم . وأكل الطعام والمشي في الاسواق كناية عن البشرية لانهما وصفان لازمان لها

المعنى : وما ينكر عليك هؤلاء من أكلك الطعام ومشيك في الاسواق مع انك رسول الله وقد علموا انه ما من رسول كان قبلك إلا وهذه حالته وما انت إلا واحد منهم فلا عيب عليك في ذلك ولا حجة لهم عليك به

تاريخ : هذه المقالة شنشنة قديمة من الامم التى ارسلت اليها الرسل فقابلتها بالجهل والعناد . فقد قال لنوح قومه « ما نراك إلا بشراً مثلنا » وقال لهود قومه « ما هذا إلا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مما تشربون » ولصالح « ما أنت إلا بشر مثلنا » ولشعيب « وما أنت إلا بشر مثلنا » ولموسى وهرون « أنومن لبشرين مثلنا » وفى سورة ابراهيم عن قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم انهم قالوا لرسلهم « إن أنتم إلا بشر مثلنا » فقال المشكون للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما قاله أمثالهم لاخوانه المرسلين عليهم الصلاة والسلام

تعليل : ما اعترض المعترضون على الرسل ببشريتهم الا من جهلهم وسوء نظرهم وغباوتهم اما جهلهم فقد جهلوا ما فى البشرية من استعداد لنيل أرقى الكمالات وجهلوا ما تقتضيه الرسالة من مشاكلة بين الرسول والمرسل اليهم

لتحصل المفاهمة والاتصال . وجهلوا ما يؤهل به البشر لرتبة الرسالة من كمال فى الروح والعقل والاخلاق والسلوك مما كان الرسل متصفين به كله أمام أعين أقوامهم . واما سوء نظرهم فانهم نظروا الى بشرية الرسل فقاسوهم بهم وقالوا لهم أنتم مثلنا مع وجود الفارق الواضح بينهم وبين الرسل فى الصفات النفسية التي بها كمال الانسان ، واما غباوتهم فانهم لغلبة الجسمانيات على حسهم واهمالهم استعمال عقولهم لم يتفطنوا للكمال المشاهد الذي امتاز به الرسل بين اقوامهم

تعليم : هذه العلل التى صدر اعتراض المعترضين عنها قد علمنا الله تعالى فى كتابه العزيز ما يعصمنا منها . فعلمنا ان الانسان مستعد لان تخضع له العوالم بما فيه من روح الله وانه يلتحق بعالم الملائكة الاطهار بتلك الروح عند ما تكون على اصل طهرها وقدسها . علمنا هذا بقوله تعالى (فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين) فاخضع له ملائكته اشرف العوالم وبقوله تعالى (قال يا آدم أنبئهم باسمائهم) فاتصل بهم وخاطبهم وعلمهم . فلا عجب ان ياتي المماثلون له من ابنائه في طهره وعصمته على سنته في الاتصال بالملائكة ومخاطبتهم وعلمنا ان الرسول لا يكون الا من جنس المرسل اليهم ليحصل الاتصال ويمكن التلقي وان أهل الارض لو كانوا ملائكة لارسل لهم ملك وانهم لو أنزل عليهم ملك وهم بشر لكسي حلة البشرية ولالتبس عليهم أمره ولقالوا فيه مثل ما قالوا فى المرسلين من البشر . علمنا هذا بقوله تعالي (قل لو كان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) وبقوله (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رسولا وللبسنا عليهم ما يلبسون) وعلمنا ان البشر يؤهل للرسالة باصطفاء الله له ومن مقتضى ذلك الاصطفاء تطهيره من أول نشاته من أوضار البشرية وظلم الجسمانية وتسفلها فتبقى روحه على غاية الطهر والعلوية النورانية مستعدة للاتصال بالملا الاعلى حتى تستكمل قواها فياتيها الملك بالوحي . علمنا هذا بمثل قوله تعالى (الله يصطفي من الملائكة

رسلا ومن الناس) وقوله « وانهم عندنا لمن المصطفين الاخيار » وقوله « واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك » وقوله « الله أعلم حيث يجعل رسالاته » وغيره كثير . وعلمنا ان الرسل وان كانوا موافقين لنا فى الخلقة البشرية فانهم مباينون إيانا غاية المباينة في الخلقة النفسية من حيث الطهر والكمال . فنفوسهم بقيت على طهرها لم تدنس بشيء ونفوسنا لا تخلو من تدنس والموفق من داوم على غسلها بالتوبة وتحليتها بالصالحات . وكمالهم فطري ويبلغون فيه بعملهم المتواصل وعصمتهم الربانية الى الغايات التى لا تنال وكمالنا ليس كذلك فى الامور الثلاثة الفطرة والعمل المتواصل والعصمة . علمنا هذه بقوله تعالى (ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) فبالنظر الصحيح فيما من الله عليهم به ندرك انهم ليسوا مثلنا وان ساوونا في الخلقة البشرية . وعلمنا ان لا ننظر الى ظواهر الامور دون بواطنها والى الجسمانيات الحسية دون ما وراءها من معان عقلية بل نعبر من الظواهر الى البواطن وننظر من المحسوس الى المعقول ونجعل حواسنا خادمة لعقولنا ونجعل عقولنا هي المتصرفة الحاكمة بالنظر والتفكير . علمنا هذا بقوله تعالى (لا يستوي الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث) فلا ينظر الى بهرجة الكثرة ولكن الى حقيقة وحالة الشيء الكثير فيعتبر بحسبهما وبقوله (فاما الانسن اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانني ، كلا) فلا يجوز ان نغتر بالمال والقوة والجاه وأنواع النعيم اذا سيقت إلينا فنحسب أنها هي نفس الكرامة الربانية التى دعينا الى العمل لنيلها بل انما نعدها كذلك إذا كان معها التوفيق إلى شكرها بالقيام بحقوقها وصرفها فى وجوهها . ولا نغتر بحالة الضيق والعسر والضعف فنحسب أنها إهانة من الله لصاحبها بل علينا أن ننظر الى ما معها من صبر ورجاء وبر او ضجر ويأس وفجور فنعلم حينئذ أنها مع الاولى للتمحيص والتثبيت ومع الاخيرة للزجر والعقاب بعدل وحكمة من أحكم

الحاكمين . وبقوله تعالى « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد » فعلمنا انه بشر ولكنه خصص بالوحي اليه بتوحيد الله وبما يقتضيه مقام الايحاء اليه من طهر وكمال حتى لا تحجب عنا بشريته التى نشاهدها بابصارنا كمال حاله ومنزلته الذى ندركه ببصائرنا

عقيدة : الرسول إنسان ذو روح طاهرة نورانية علوية بها تاتى له تلقي الوحي من الملائكة وذو جسد بشري تجري عليه ضروريات البشرية الخلقيةدون نقائصها الكسبية لانه مصرف بتلك الروح العلوية الطاهرة التي لا يصدر عنها إلا الخير وبهذا الجسد البشرى تاتى للبشر الاخذ عنه والاقتداء به . وماخذ هذه العقيدة من الايات التي تلوناها في فصل التعليم المتقدم

تحذير : علينا ان نحذر من أن نعترض او نحكم بالانظار السطحية دون بحث عن الحقائق ، أو أن نلحق شيئا بشيء دون ان نتحقق انتفاء جميع الفوارق . فقد انتشرت بعدم الحذر من هذين الامرين جهالات وارتكبت ضلالات . وبالنظر السطحي ازدرى إبليس آدم فامتنع من السجود له واعترض على خالقه فكانت عليه اللعنة إلى يوم الدين وبعدم النظر إلى الفوارق قال أحد ابني آدم لاخيه لما تقبل قربانه دونه هو « لاقتلنك » حتى ذكره أخوه بوجود الفارق فقال « إنما يتقبل الله من المتقين » وحقيقة الاول ترجع الى الجهل المركب وحقيقة الثاني ترجع إلى القياس الفاسد وهما أعظم أصول الفساد والضلال

سلوك : الانبياء والمرسلون أكمل النوع الانساني وهم المثل الاعلى في كماله وقد كان أصل كمالهم بطهر أرواحهم وكمالها فاقبل على روحك بالتزكية والتطهير والترقية والتكميل ولا سبيل الى ذلك إلا بالاقتداء بهم والاهتداء بهديهم وقد قال الله تعالى لنبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام : « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده » فاقرأ ما قصه القرآن العظيم من أقوالهم وأعمالهم وأحوالهم وسيرهم وتفقه فيه وتمسك به تكن — إن شاء الله تعالى — من الكاملين

فتنة العباد بعضهم ببعض

«وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون وكان ربك بصيرا»

المناسبة : أفاد ما تقدم من الاية أن الرسل ياكلون الطعام فيحتاجون للغذاء وتحصيله وأنهم يمشون في الاسواق للسعي والتكسب وأفاد آخر الاية الحكمة الربانية في ذلك وهو ان يكون بذلك فتنة واختبارا للعباد وتلك سنة الله تعالى في خلقه فقد جعل بعضهم لبعض فتنة

المفردات : قال في « لسان العرب » الازهري وغيره جماع معنى الفتنة الابتلاء والامتحان والاختبار واصلها ماخوذ من قولك فتنت الفضة والذهب اذا أذبتهما بالنار لتميز الرديء من الجيد اه ومنه قوله تعالى (أحسب الناس أن يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) و (انما أموالكم وأولادكم فتنة) و (فتناك فتونا) و (نبلوكم بالشر والخير فتنة) . (أتصبرون) الصبر حبس النفس على المكروه . والمكروه لها فعل ما فيه تعب وترك ما فيه لذة ويكون في المشروع والمقدور ففي الاول بالقيام بالمامورات والترك للمنهيات وفي الثاني —وهو المصائب والبلايا— بالرضا والتسليم للخالق وعدم الاعتراض عليه وعدم السعي في إزالتها بغير الوجه الماذون فيه و (البصير) هو المشاهد للاشياء ظاهرها وباطنها ذواتها ونعوتها وأحوالها . مباديها وغاياتها وعواقبها

التراكيب : الاستفهام في أتصبرون بمعنى الامر اي اصبروا وخرج الامر في صورة الاستفهام تنبيها على قلة الصبر في الوجود فهو من الامر المعدوم الذي يسال عنه هل يوجد وفي ذلك بعث للهمم على تحصيله والتمسك به . وجملة (وكان الخ) معطوفة على جملة (وجعلنا) وعدل عن مقتضى الظاهر وهو وكنا بصراء بالاضمار الى وكان ربك بصيرا بالاظهار للتنبيه على ان فتنته لعباده من مقتضى ربوبيته لهم وحسن تدبيره فيهم . موقع هذه الجملة بعد الجملة الاولى لبيان ان فتنته

لهم هي عن علم وبصر بصواب ذلك وحكمته . وانه مطلع على حقيقة ما يكون منهم عند الاختبار ليجازيهم عليه وفى هذا وعد ووعيد للممتحنين

المعنى : امتحنا بعضكم ببعض لتظهر حقائقكم عند الامتحان . جعلنا الرسل ياكلون كما ياكل البشر ويتكسبون كما يتكسبون لنمتحن العباد بهم فيظهر من يتبعهم بالايمان واليقين لما معهم من الحق والكمال ويصبر على ما يلحقه في اتباعهم من الجهد والبلاء ممن يحتقرهم ويعرض عنهم لما يرى من بشريتهم كما جعلنا الامم فتنة لرسلها وامتحانا لهم ليظهر صبرهم على ما يلاقون منهم من إذاية وشر فتعلو درجاتهم ويضاعف أجرهم . وجعلنا الغني امتحانا للفقير حتى يظهر صبره على حاله وكفه لعينه ويده عن شيء غيره كما جعلنا الفقير امتحانا للغني حتى يظهر صبره على القيام بواجبه نحوه . وجعلنا الصحيح فتنة للمريض حتى يظهر صبره على بلواه ورضاه بما أعطاه الله كما جعلنا المريض فتنة للصحيح حتى يظهر صبره على القيام بواجبه نحوه من العطف عليه وعيادته ومواساته . وجعلنا الرعية فتنة للراعي حتى يظهر صبره على القيام بواجب رعايتها كما جعلنا الراعي فتنة للرعية ليظهر صبرها على طاعته وهكذا في جميع أقسام الناس . أتصبرون على هذا الامتحان فان الصبر عليه عزيز شديد فاصبروا فانه لا يخرجكم من هذا الامتحان خالصين خلوص الذهب الابريز الا الصبر وكان ربك يا محمد بصيرا عالما بعاقبة الامتحان في عباده مطلعا على كل ما يكون منهم عند الامتحان ليجازيهم عليه

سؤال وجوابه : الله تعالى عالم بما يكون من عباده بعد امتحانهم قبل ان يمتحنهم فما هي حكمة الامتحان . والجواب أن الله تعالى انما يحاسب عباده على ما عملوه وكسبوه واكتسبوه بما عندهم من التمكن من الفعل والترك وما عندهم من الاختيار لا على ما علمه منهم قبل ان يعملوه فلهذا يمتحنون لتظهر حقائقهم ويقع جزاؤهم على ما كسبت أيديهم باختيارهم ولا حجة لهم في تقدم علمه تعالى بما يكون منهم لان تقدم العلم لم يكن ملجئاً لهم على أعمالهم ففي هذا الامتحان قيام

حجة الله على العاملين أمام أنفسهم وأمام الناس كما فيه إظهار لحقيقتهم لانفسهم ولغيرهم

تطبيق : كما يفتن الفرد بالفرد كذلك تفتن الامة بالامة من ذلك اننا — معشر الامة الاسلامية — قد فتنا بغيرنا من امم الغرب وفتنوا هم أيضاً بنا . فنحن ندين بالاسلام وهو دين السعادة الدنيوية والاخروية ولكن حيثما كنا - إلا قليلا — لسنا سعداء لا في مظاهر تديننا ولا في أحوال دنيانا ففي الاولى ناتي بما يبرأ منه الاسلام ونصرح بانه من صميمه وفي الثانية ترانا في حالة من الجهل والفقر والتفرق والذل والاستعباد يرثى لها الجماد فلما يرانا الغربيون على هذه الحالة ينفرون من الاسلام ويسخرون منه إلا من نظر منهم بعين العلم والانصاف فانه يعرف ما نحن عليه هو ضد الاسلام فكنا فتنة عظيمة عليهم وحجابا كثيفا لهم عن الاسلام فكنا — ويا للاسف — فتنة للقوم الظالمين . وهم من ناحيتهم نراهم في عز وسيادة ، وتقدم علمي عمراني فننظر الى تلك الناحية منهم فنندفع فى تقليدهم فى كل شيء حتى معائبهم ومفاسدهم ونزدري كل شيء عندنا حتى أعز عزيز الا من نظر بعين العلم فعرف ان كل ما عندهم من خير هو عندنا فى ديننا وتاريخنا وان ذلك هو هو الذي تقدموا وسادوا به وان ما عندهم من شر هو شر على حقيقته وان ضرره فيهم هو ضرره وانه لا يجوز ان يتابعوا عليه فكانوا فتنة لنا حتى يظهر من ينظر بعين الحق للحقائق ممن تبهره الظواهر فتسلبه إدراكه فيغدو لا يفرق بين اللب والقشور

اقتداء : علمنا من هذه الاية وغيرها ان الله تعالى يمتحن عباده ويختبرهم ليظهر حقائقهم فلنقتد به تعالى فى هذا فنبني أمورنا على الامتحان والاختبار فلا نقرر علماً ، ولا نصدر حكماً إلا بعد ذلك ، وخصوصاً فى معرفة الناس والحكم عليهم فالظواهر كثيراً ما تخالف البواطن والتصنع والتكلف قلما يسلم منهما أحد ولا يعصم من الخطا مع هذه المغلطات كلها الا الامتحان والاختبار فاعتصم بهما

اهتداء : كل من اتصل بك من اهلك وبنيك وأبيك وأمك وأصحابك وعشيرتك وقومك وكل من ترتبط به برباط من ابناء جنسك — هو فتنة وامتحان لك هل تقوم بواجبك نحوه من جلب خير له او دفع شر عنه او جلب خير منه لغيره او دفع شره عن غيره، وهل تكف يدك عن شيئه و تكف بصرك عما متع به، و تسال الله مما عنده من فضله ؟ وانما تقوم بواجبك نحوه مما تقدم و تكف يدك وعينك عنه و تسال الله مما عنده راضيا بما قسم لك معتقدا الخير كل الخير فى قسمه — اذا تدرعت بالصبر على إتيان ما يطلب منك إتيانه وان كان عليك ثقيلا . والكف عما يطلب منك الانكفاف عنه وان كان منك قريبا وفي طبعك لذيذا ، وانما يكون لك هذا الصبر اذا كنت دائم اليقين بعلم الله بك واطلاعه عليك وانه كان بك بصيراً

هذه الحقائق كلها هدتنا هذه الاية الكريمة اليها : هدتنا الى انا امتحنا ببعضنا . وان الذى يخلصنا في هذا الامتحان ويخرجنا سالمين هو الصبر ، وان حالتنا في الامتحان منكشفة لمن سيجازينا عليها . فلنهتد بهدايتها الى ما هدتنا اليه . ولنتدرع في هذا الامتحان العظيم بالصبر المتين ولنستحضر في قلوبنا مراقبة الله لنا لتثبت قدمنا في مقام الصبر بروح اليقين . فبذلك نخرج — ان شاء الله تعالى — من نار الفتنة ذهباً خالصاً نقياً ، وجوهراً طيباً زكياً فنسعد في الدارين برضى رب العالمين ، والله ولي التوفيق

ندامة الظالم
على تركه السبيل القويم ، وصحبته للمضلين

(ويوم يعض الظالم على يديه يقول يليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلا لقد اضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا)

المناسبة : لما سال المشركون ان يروا الملائكة أخبروا بانهم سيرونهم في يوم يكون شره عليهم عظيما . وذكر في الايات السابقة ما يكون في ذلك اليوم من حبوط أعمالهم وتشقق السماء بالغمام وتنزل الملائكة وغير ذلك وذكر في هذه الاية ما يكون في ذلك اليوم من ندم الظالم وسوء حاله

المفردات : الظلم وضع الشيء في غير موضعه كوضع الكفر موضع الايمان ووضع المعصية موضع الطاعة . وحق الله تعالى ان يؤمن به ويوحد ويطاع فمن كفر او أشرك به او عصاه فقد ظلم وهو هنا الكافر والمشرك لانه الذى لم يتخذ مع الرسول سبيلا . الويلة الهلكة كالويل بمعنى الهلاك . فلان يكنى به عن الاعلام كما يكنى بالهن عن الاجناس . الخليل فعيل بمعنى فاعل وهو ما تخللت مودته القلب وامتزجت بالنفس فكانت له مكانة منهما وسلطان عليهما . هذا في جانب الخلق واما في جانب الله تعالى فبالمعنى الذى يليق بقدسه وتنزيهه فابراهيم عليه السلام خليل الرحمن بما له عنده تعالى من عظيم المنزلة ورفعة الشان وقبول الدعوة وما له عليه من جزيل الانعام . الاضلال الصد والصرف عن طريق الحق والنجاة . الذكر القرآن العظيم وفسر بالشهادتين وبالاسلام . والقرآن فيه ذلك كله وهو الذي سياتي

على الاثر ذكر هجرهم له ولذلك اخترناه في معنى الذكر هنا . الشيطان الخبيث الشرير الذي استولى عليه وتمكن منه خلق الافساد والاضرار من الجن والانس . الخذول الكثير الخذل اي التسليم والترك لمن نزل به البلاء فى وقت الحاجة الى انقاذه

التراكيب : شان من وقع فى غيظ وحسرة وندامة أن يعض يديه ويا كل بنانه كانه لم يجد شيئا يطفىء فيه غيظه رجع على نفسه بذلك فعض اليد لازم لحالة الحسرة والغيظ والندامة فلذا يكنى به عنها من اطلاق اللازم وإرادة الملزوم وذلك لا يمنع من وقوع العض منه حقيقة بل وقوع ذلك هو الشان الغالب . وجملة يقول يا ليتني حالية فهو يعض حالة كونه قائلا يا ليتني فبينت هذه الجملة ما يقول كما بينت التى قبلها ما يعمل فصورتاه فى حاله الشنيع الفظيع ويوم منصوب باذكر او معطوف على يوم يرون الملائكة كما عطف عليه ويوم تشقق السماء ويوم يرون منصوب باذكر او بيمنعون البشرى كما يدل عليه لا بشرى يومئذ للمجرمين والتنكير فى قوله سبيلا للافراد اي سبيلا واحداً لا تعدد فيه بخلاف ما كان عليه الظالم من سبل أهوائه المتعددة المتشعبة . والالف فى يا ويلتى منقلبة عن ياء المتكلم والاصل يا ويلتي نادى ويلته اي هلكته لتحضر فى ذلك الوقت لانه وقتها وليس نداؤها رغبة فى حضورها فالهلاك لا يرغب فيه وانما نادى الهلاك ليحضر لما حصل له من الياس والقنوط من اسباب النجاة فلم يبق له الا الهلاك كما يقول العليل للطبيب وقد أيس من معالجة جرح بيده مثلا إقطع فهذا وقت القطع . وهكذا يخرج كل نداء فى حالة شدة لما لا يخلص منها وانما يزيد فى اشتدادها كما ينادي الشقي « يا شقوتاه » والمفتضح « يا فضيحتاه » والمصاب « يا مصيبتاه » وكنى بفلان لان لكل ظالم خليلا له اسمه الخاص فلا يمكن التصريح باسماء الجميع فما بقى الا الكناية عنها بفلان ، وجملة لقد اضلنى بيان لسبب تمنيه السابق وال فى الشيطان والانسان للجنس فيدخل فى جنس الشيطان خليل الظالم الذى صده عن الذكر

وقرين خليله من الجن الذي سول له ذلك واعانه وقرينه هو الذي زينه له و دعاه اليه والجملة من كلام الظالم لاعلان خيبته واظهار المه منها لما وجد نفسه وحده مخذولا ممن اضله واغواه

المعنى : ويوم يعض الظالم لنفسه بالكفر بربه او الشرك على يديه ندما وحسرة على تفريطه وعدم اتباعه لسبيل الحق مع الرسول الذي ارسل اليه وعلى توريطه لنفسه بصحبته لخليله وطاعته له حتى صرفه عن الايمان بالقرآن بعد ما جاءه وسمعه وتمكن من الايمان به فاغواه ذلك الخليل وقرينه وقرينه هو حتى اردوه ثم خذلوه فى ذلك اليوم العظيم وفى وقت الحسرة والندامة فلم يجد منهم نصرا ولا معونة كما هو شان الشياطين فى خذلان من يغووه ويردوه

الحاق واعتبار : كما علينا ان نتبع سبيل الرسول عليه وآله الصلاة والسلام التى جاء بها من عند الله تعالى وهي الاسلام كذلك علينا ان نتبع سبيله فى القيام بشرائع الإسلام علما وعملا فى ابواب العبادات واحكام المعاملات ، وفى تطبيق اصول الاسلام وفروعه على الحياة الخاصة والعامة وهذه هي سنته التي كان عليها وكان عليها اصحابه واهل القرن الثاني من التابعين واهل القرن الثالث من اتباع التابعين تلك القرون المشهود لها بالخيرية على غيرها بلسان المعصوم وكما ان من عدل عن الاسلام ولم يسلك سبيله وقع فى ضلال الكفر كذلك من عدل عن السنة ولم يسلك سبيلها وقع فى ضلال الابتداع وكما ان من لم يتخذ مع الرسول سبيل الاسلام يندم اشد الندم ويتحسر اعظم الحسرة على ما كان من تفريطه كذلك من لم يتخذ مع الرسول سبيل السنة اذ كل منهما قد ظلم نفسه وفرط فى سبيل نجاته . فالاية وان كانت فى الكافر والمشرك فهي تتناول بطريق الاعتبار اهل الاهواء والبدع وبهذا كانت الاية متناولة بوعظها وترهيبها جميع الخلق ممن لم يدخل فى الاسلام او دخل فيه ولم يلتزم سنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم

تحذير : عند ما تتخلل محبة شخص من الناس قلبك وتمتزج بروحك

ويستولى بسلطان مودته عليك تصير اقواله وافعاله كلها عندك مرضية وعيوبه ونقائصه عنك محجوبة . فتمسي طوع بنانه ورهن اشارته يوجهك حيث شاء ويصرفك عما اراد . وهذه حالة من أخطر الاحوال عليك لانك فيها قد سلبت تمييزك وخسرت ارادتك وصرت آلة في يد غيرك فقد ترى الخير وتدعى اليه فيصرفك عنه وقد ترى الشر وتحذر منه ويوقعك فيه وهب هذا الخليل كان مخلصا لك وحدباً عليك فانه غير معصوم من الخطا والضلال اما اذا كان شريراً مفسداً فهنالك الهلاك المحقق والوبال الشديد وقد ذكر لنا الله تعالى في هذه الاية ما كان من سوء مثال الظالم بسبب انقياده لخليله واتباعه له عن غير روية وصدق تمييز يحذرنا من سلطان الخلة الذي يهمل معه شان الارادة والتمييز ويعلمنا ان علينا ان نحافظ على إرادتنا وتمييزنا ونظرنا لانفسنا مع الصديق والعدو ومع الخليل وغير الخليل بل نحافظ عليهما مع الخليل أكثر لانه مظنة الخوف بما له من المكانة في القلب والسلطان على النفس

ارشاد : لما كان خليل المرء بهذه المنزلة فعليك ان تختار من تخال فلا تخال الا من حسنت سريرته واستقامت سيرته وغلب الصواب على أقواله وأعماله ليكون دليلك الى الخير وسائقك اليه مع محافظتك على ارادتك وتمييزك معه على كل حال

علامة : اذا اردت ان تعرف شر خلانك وأحقهم بهجرك له وابتعادك عنه فانظر فيما يرغبك هو فيه وما يرغبك عنه فاذ وجدته يرغبك عن القرآن وعما جاء به القرآن فاياك واياه فتلك اصدق علامة على خبثه وسوء عاقبة قربه فابتعد عنه في الدنيا قبل ان تعض على يديك على صحبتك له في الاخرى . واذا وجدته يرغبك في القرآن وما جاء به القرآن فذلك الخليل الزكي الصادق فاستمسك به وحافظ عليه . وان خلة أسست على الرجوع الى القرآن والتحاب على القرآن والتناصح بالقرآن

لخلة نافعة دنيا واخرى لانها أسست على أساس التقوى . وقد قال الله تعالى «الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين»

شكوى النبي الكريم

من هجر القرآن العظيم

(وقال الرسول يرب ان قومي اتخذوا هذا القرءان مهجوراً)

المناسبة : لما ذكر تعالى ما قاله المشركون من الباطل في معارضة القرآن والاعراض والصد عنه وما قالوه من عبارات الحسرة والندامة يوم القيامة على ما كان منهم من ذلك في الدنيا — ذكر ما قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الشكوى لربه بهم من تركهم للقرآن العظيم وهجره

المفردات : مهجورا متروكا مقاطعا مرغوبا عنه الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقومه قريش

التراكيب : في قوله يرب اظهار لعظيم التجائه وشدة اعتماده وتمام تفويضه لمالكه ومدبر أمره وموالي الانعام عليه . وفي التعبير عنهم بقومه واضافتهم اليه وفي التعبير عن القرآن باسم الاشارة القريب — بيان لعظيم جرمهم بتركهم للقرآن وهو قريب منهم فى متناولهم وقد أتاهم به واحد منهم أقرب الناس اليهم . فصدوا وابعدوا في الصد عمن هو اليهم قريب من قريب . وهذا أقبح الصد وأظلمه. وفي قوله اتخذوا الخ بيان انهم جعلوا الهجر ملازما له ووصفا من اوصافه تنددهم وذلك أعظم من أن يقال هجروه الذي يفيد وقوع الهجران منهم دون دلالة على الثبوت والملازمة

المعنى : وقال الرسول شاكيا لربه ان قومي الذين أرسلتنى اليهم بالقرآن لاتلوه عليهم قد صدوا عنه وتركوه وثبتوا على تركه وهجره

استنتاج واعتبار : في شكوى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من هجر القرآن دليل على ان ذلك من اصعب الامور وأبغظها لديه وفى حكاية القرآن لهذه الشكوى وعيد كبير للهاجرين بانزال العقاب بهم اجابة لشكوى نبيه . ولما كان الهجر طبقات اعلاها عدم الايمان به فلكل هاجر حظه من هذه الشكوى وهذا الوعيد

تنزيل : ونحن — معشر المسلمين — قد كان منا للقرآن العظيم هجر كثير في الزمان الطويل . وان كنا به مومنين . بسط القرآن عقائد الايمان كلها بادلتها العقلية القريبة القاطعة فهجرناها وقلنا تلك أدلة سمعية لا تحصل اليقين وأخذنا في الطرائق الكلامية المعقدة واشكالاتها المتعددة واصطلاحاتها المحدثة مما يصعب أمره على الطلبة فضلا عن العامة . وبين القرآن اصول الاحكام وأمهات مسائل الحلال والحرام ووجوه النظر والاعتبار مع بيان حكم الاحكام وفوائدها في الصالح الخاص والعام فهجرناها واقتصرنا على قراءة الفروع الفقية مجردة بلا نظر جاف بلا حكمة محجبة وراء أسوار من الالفاظ المختصرة تفنى الاعمار قبل الوصول اليها. وبين القرآن مكارم الاخلاق ومنافعها ومساوي الاخلاق ومضارها وبين السبيل للتخلي عن هذه والتحلي بتلك مما يحصل به الفلاح بتزكية النفس والسلامة من الخيبة بتدسيتها فهجرنا ذلك كلها ووضعنا اوضاعا من عند انفسنا واصطلاحات من اختراعاتنا خرجنا في اكثرها عن الحنيفية السمحة الى الغلو والتنطع وعن السنة البيضاء الى الاحداث والتبدع وادخلنا فيها من النسك الاعجمي والتخيل الفلسفي ما أبعدها غاية البعد عن روح الاسلام والقى بين اهلها بذور الشقاق والخصام وآل الحال بهم الى الخروج من أثقال أغلالها والاقتصار على بقية رسومها للانتفاع منها ومعارضة هداية القرآن بها . وعرض القرآن علينا هذا الكون وعجائبه ونبهنا على ما فيه من عجائب الحكمة ومصادر النعمة لننظر ونبحث ونستفيد ونعمل فهجرنا ذلك كله الى خريدة العجائب وبدائع الزهور والحوت والصخرة وقرن الثور ! ودعانا القرآن

الى تدبره وتفهمه والتفكر فى آياته ولا يتم ذلك الا بتفسيره وتبيينه فاعرضنا عن ذلك وهجرنا تفسيره وتبيينه فترى الطالب يفنى حصة كبيرة من عمره فى العلوم الالية دون ان يكون قد طالع ختمة واحدة فى أصغر تفسير كتفسير الجلالين مثلا بل ويصير مدرسا متصدرا ولم يفعل ذلك وفى جامع الزيتونة عمره الله تعالى — اذا حضر الطالب بعد تحصيل التطويع فى درس تفسير فانه ويا للمصيبة يقع فى خصومات لفظية بين الشيخ عبد الحكيم واصحابه فى القواعد التى كان يحسب انه فرغ منها من قبل فيقضى فى خصومة من الخصومات اياما او شهورا فتنتهى السنة وهو لا يزال حيث ابتدأ او ما تجاوزه الا قليلا دون ان يحصل على شيء من حقيقة التفسير وانما قضى سنته فى المماحكات بدعوى انها تطبيقات للقواعد على الايات كان التفسير انما يقرأ لاجل تطبيق القواعد الالية لا لاجل فهم الشرائع والاحكام الالهية . فهذا هجر آخر للقرآن مع ان اصحابه يحسبون انفسهم انهم فى خدمة القرآن

وعلمنا القرآن ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو المبين للناس ما نزل اليهم من ربهم وان عليهم ان ياخذوا ما أتاهم وينتهوا عما نهاهم عنه فكانت سنته العملية والقولية تالية للقرآن فهجرناها كما هجرناه وعاملناها بما عاملناه حتى انه ليقل فى المتصدرين للتدريس من كبار العلماء فى اكبر المعاهد من يكون قد ختم كتب الحديث المشهورة كالموطا والبخاري ومسلم ونحوها مطالعة فضلا عن غيرهم من اهل العلم وفضلا عن غيرها من كتب السنة . وكم وكم وكم بين القرآن وكم وكم وكم قابلناه بالصد والهجران

بيان واستشهاد : شر الهاجرين للقرآن هم الذين يضعون من عند انفسهم ما يعارضونه به ويصرفون وجوه الناس اليهم والى ما وضعوه عنه لانهم جمعوا بين صدهم وهجرهم فى انفسهم وصد غيرهم فكان شرهم متعديا وبلاؤهم متجاوزا وشر الشر وأعظم البلاء ما كان كذلك . وفى هؤلاء جاء ما ذكره الامام ابن القيم فى كتاب اعلام الموقعين عن حماد بن سلمة ثنا أيوب السختياني عن أبي قلابة عن يزيد

ابن أبي عميرة عن معاذ بن جبل قال : « تكون فتن فيكثر المال ويفتح القرآن حتى يقرأه الرجل والمرأة والصغير والكبير والمنافق والمؤمن فيقرؤه الرجل فلا يتبع فيقول والله لأقرأنه علانية فيقرؤه علانية فلا يتبع فيتخذ مسجداً ويبتدع كلاماً ليس من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فاياكم وإياه فانه بدعة وضلاله » قاله معاذ ثلاث مرات اه فانظر في قطرنا وفي غير قطرنا كم تجد ممن بنى موضعاً للصلاة ووضع كتباً من عنده أو مما وضعه أسلافه من قبله وروجها بين أتباعه فاقبلوا عليها وهجروا القرآن وربما يكون بعضهم قصد بما وضع النفع فاخطا وجهه إذ لا نفع بما صرف عباد الله عن كتاب الله وإنما يدعى لله بكتاب الله ولذلك سمي صنيع هذا الواضع بدعة وضلالة وحذر معاذ منه وأكد في التحذير بالتكرير ، وهذا الحديث وإن كان موقوفاً على معاذ فهو في حكم المرفوع لأنه اخبار بغيب مستقبل وهذا ما كان يعلمه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم إلا بتوقيف من النبي صلى لله عليه وآله وسلم وقد تحقق مضمونه في المسلمين منذ أزمان ولا حول ولا قوة إلا بالله

سبيل النجاة : لا نجاة لنا من هذا التيه الذي نحن فيه والعذاب المنوع الذي نذوقه ونقاسيه إلا بالرجوع الى القرآن الى علمه وهديه وبناء العقائد والأحكام والاداب عليه والتفقه فيه وفي السنة النبوية شرحه وبيانه والاستعانة على ذلك باخلاص القصد وصحة الفهم والاعتضاد بانظار العلماء الراسخين والاهتداء بهديهم في الفهم عن رب العالمين وهذا أمر قريب على من قربه الله عليه ميسر على من توكل على الله فيه — وقد بدت طلائعه والحمد لله وهي آخذة في الزيادة إن شاء الله وسبحن من يحي العظام وهي رميم

التسلية والتثبيت

للنبي صلى الله عليه وآله وسلم

(وكذلك جعلنا لكل نبيء عدوا من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً)

المناسبة : لما شكا عليه الصلاة والسلام قومه سلاه الله تعالى وعزاه وأمره بالصبر والثبات ووعده ورجاه

المفردات : العدو وزنه فعول يكون للواحد والجماعة

التراكيب : كاف كذلك بمعنى مثل والاشارة للجعل المفهوم مما تقدم أي مثل ذلك الجعل للأعداء لك جعلنا لكل نبيء الخ

المعنى : مثلما جعلنا لك أعداء من قومك كفروا بك وهجروا كتابك وصدوا عنك وبالغوا في إذايتك — جعلنا لكل نبيء مما نبانا اعداء من اهل الذنب والاجرام فما اصابك إلا ما اصابهم فاصبر كما صبروا وكفى بربك هادياً يهديك الى طريق الحق ويبصرك الرشد ويعرفك بما تؤدي به رسالة ربك فلا تتحير فى امرك لما ترى من صدود قومك ، وناصراً ينصرك على اعدائك . يامره بالصبر ويثبته بالتاسي بعده بانه يهديه في طريق التبليغ وينصره على معارضيه حتى يتم امر الله على يده

ترهيب : هؤلاء الذين سماهم الله تعالى اعداء لنبيه ووصفهم بالاجرام هم اولئك الذين هجروا القرآن وصدوا عنه فهذا تخويف عظيم ووعيد شديد لكل من كان هاجراً للقرآن العظيم بوجه من وجوه الهجران

إقتداء وتاس : حق على حرب القرآن الداعين به والداعين إليه ان يقتدوا بالانبياء والمرسلين فى الصبر على الدعوة والمضي فيها والثبات عليها وان يداووا انفسهم عند المها واضطرابها بالتاسي باولئك السادة الاخيار

بشارة : قد وعد الله تعالى نبيه بعد ما امره بالتاسي والصبر — بالهداية

والنصر . وفي هذا بشارة للدعاة من امته من بعده السائرين فى الدعوة بالقرآن والى القرآن على نهجه انه يهديهم وينصرهم كما قال تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » معهم بالفضل والنصر والتاييد . وهذا عام للمجاهدين المحسنين والحمد لله رب العالمين

تثبيت القلوب
بالقرآن العظيم

(وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا)

المناسبة : هذا اعتراض آخر من اعتراضاتهم الباطلة نسق مع ما تقدم منها ليجاب عنه ويبين خطؤهم فيه كما فعل بما تقدمه

المفردات : (لولا) مع المضارع للتحضيض نحو لولا تستغفرون الله ومع الماضي للوم والتوبيخ نحو لولا جاءوا عليه باربعة شهداء وهي هنا مع الماضي فتكون للوم على عدم حصول المذكور وحصول ضده والمقصود من اللوم هنا الاعتراض على عدم نزوله جملة واحدة ونزوله مفرقا فالمعترض عليه هو نزوله مفرقاً . (نزل) ياتي مرادفا لانزل . والتضعيف اخو الهمزة و ياتي مفيدا للتكثير فيفيد تكرر النزول وتجديده وخرج على هذا قوله تعالى «نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب وأنزل التوراية والانجيل». وأما هنا فلا يصح حمله على التكثير المفيد للتدريج لئلا يناقض قولهم جملة واحدة فيكون من التضعيف المرادف للهمزة . وعندى ان نزل المضاعف يرد لكثرة الفعل ولقوته فجاء لكثرته في آية آل عمران المتقدمة وجاء لقوته في هذه الاية لان انزال الجملة مرة واحدة أقوى من

انزال كل جزء من الاجزاء بمفرده . (كذلك) الاشارة للانزال المفرق المفهوم من قولهم لولا نزل عليه القرآن جملة لانه في معنى لمه نزل عليه جملة ولم ينزل عليه مفرقاً . (الثبيت) ثبات الشيء اقامته ورسوخه دون اضطراب وذلك من قوته كما ان اضطراب المضطرب من ضعفه فتفسير تثبيت الفؤاد هنا بتقويته تفسير يلازم معناه على انه مراد منه ايضا اصل المعنى وهو السكون وعدم الاضطراب . فتثبيته — اذاً — هو تسكينه وتقويته (الترتيل) مادة رت ل كلها ترجع الى تناسق الشيء وحسن تنضيده منه ثغر رتل بالتحريك اي مفلج بين الاسنان فرج لا يركب بعضها بعضا وترتيل القرآن في التلاوة هو القاء حروفه حرفاً حرفاً وكلماته كلمة كلمة وآياته آية آية على تؤدة ومهل حتى يتبين للقارىء وللسامع ولا يخفى عليه منه شيء . وأما ترتيله في نزوله وهو المراد هنا فانه انزاله آية وآيتين وآيات مفرقا نجوما على حسب الوقائع

التراكيب : (وقال الذين كفروا) وصل لانه قيل من اقوالهم فعطف على ما تقدم من مثله (كذلك لنثبت) الاصل انزلناه كذلك فاوجز بحذف المتعلق لوجود ما يدل عليه في اعتراضهم وفصل لانه جواب عن اعتراضهم (ورتلناه) وصل لانه معطوف على انزلناه المحذوف والتنوين في (ترتيلا) تنوين تنويع وتعظيم اي نوعا من الترتيل عظيما

المعنى : وقال الذين كفروا — وهم قريش او اليهود او الجميع وهو الظاهر لان قريشا واليهود كان يتصل بينهم الكلام فى شان النبي صلى الله عليه واله وسلم وشان القرءان — قالوا معترضين ومقترحين لمه لم ينزل عليه القرءان جملة واحدة كما انزلت التوراة وغيرها ونزل عليه مفرقا . فقال الله تعالى جوابا لهم انزلناه كذلك الانزال مفرقا لنثبت به قلبك فيسكن ويطمئن ونقويه فيصبر ويتحمل . وانزلناه مرتلا مفرقا تفريقا مرتبا منزلا كل قسم منه فى الوقت المناسب لانزاله والحالة

الداعية اليه اللائقة به .

مزيد بيان للاعتراض والجواب : اما اعتراضهم فكان لانهم سمعوا القرآن يذكر ان الكتاب انزل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما انزلت الكتب على الانبياء عليهم السلام من قبله بمثل قوله تعالى وكذلك انزلنا اليك الكتاب فقالوا لماذا نزل هذا الكتاب مفرقا ولم ينزل مثل تلك الكتب جملة واحدة وهم لما عجزوا عن معارضة اقصر سورة منه اخذوا يباهتون بالباطل ويعترضون بمثل هذا الاعتراض . واما الجواب فكان ببيان حكمتين في انزاله مفرقا ، الحكمة الاولى تثبيت قلبه والحكمة الثانية تفريقه مرتبا على الوقائع وكان في تينك الحكمتين مزيتان عظيمتان للقرآن العظيم على غيره من كتب الله تعالى فكان ما اعترضوا به على انه نقص فيه عنها هو كمال له عليها .

شرح الحكمة الاولى : كان كل نجم ينزل من القرآن العظيم — والنجم القسم الذي ينزل معا آية او آيتين او اكثر — يزداد به عجزهم وعنادهم ظهورا وتزداد به حجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصدقه وضوحا . فيزداد بذلك سكون قلبه وطمأنينته بظهور امره على عدوه وعلو كلمة الحق على كلمة الباطل وفي ذلك تقوية له واي تقوية لا عن شك كان في قلبه او تردد ولكن البراهين المتوالية والحجج المتتالية تزيد في سكون القلب واطمئنانه وان كان معقودا من اول امره على اليقين ، فهذا وجه من تثبيت فؤاده بالايات المتفرقات في النزول ، وقد كان كل نجم من نجوم القرآن ينزل بشيء من العلم والعرفان مما يرجع الى العقائد او الاخلاق او الاحكام او التذكير بالامم الماضية واخبار الرسل المتقدمين او باليوم الاخر او بسنة الله في المكذبين الى غير ذلك من علوم القرآن فيتقوى قلبه عند نزول كل نجم بما يكتسبه منه من معرفة وعلم . وكان يلقى من الجهد والعناء في تبليغ الرسالة ما تضعف عن تحمله القوى البشرية فاذا نزل عليه القرآن واتصل

بالملك الروحاني النوراني وقذف فى قلبه ذلك الوحي القرآني تقوى قلبه على تحمله اعباء الرسالة ومشاق التبليغ . ولما كان البلاء والعناء في سبيل التبليغ متكررا متجددا كان محتاجا الى تجديد تقوية قلبه وكان ذلك مقتضيا لتفريق نزول الاي عليه فهذه ثلاثة وجوه من التثبيت

حظنا من العمل بهذه الحكمة : قلوبنا معرضة لخطرات الوساوس بل للاوهام والشكوك . فالذي يثبتها ويدفع عنها الاضطراب ويربطها باليقين هو القرآن العظيم . ولقد ذهب قوم مع تشكيكات الفلاسفة وفروضهم ومماحكات المتكلمين ومناقضاتهم فما ازدادوا الا شكا وما ازدادت قلوبهم الا مرضا حتى رجع كثير منهم في اواخر ايامهم الى عقائد القرآن وأدلة القرآن فشفوا بعد ما كادوا كامام الحرمين والفخر الرازي . وقلوبنا معرضة لران المعصية الذي تظلم منه القلوب وتقسو حتى تحجب عنها الحقائق وتطمس امامها سبل العرفان . فالذي يجلو عنها ذلك الران ويزيل منها تلك القسوة ويكشف لها حقائق العلم ويوضح لها سبل المعرفة هو القرآن العظيم . فقراؤه المتفقهون فيه قلوبهم نيرة مستعدة لتلقي العلوم والمعارف ، مستعدة لسماع الحق وقبوله ، لها من نور القرآن فرقان تفرق به بين الحق والباطل وتميز به بين الهدى والضلال ، وقلوبنا معرضة للضعف عن القيام باعباء التكليف وما نحن مطالبون به من الاعمال والذي يجدد لنا فيها القوة ويبعث فيها الهمة هو القرآن العظيم فحاجتنا الى تجديد تلاوته وتدبره اكيدة جدا لتقوية قلوبنا باليقين ، وبالعلم . وبالهمة والنشاط للقيام بالعمل

شرح الحكمة الثانية من محاسن هذه الشريعة المطهرة انها نزلت بالتدريج المناسب كما كان في تحريم الخمر وكما كان فى العدد المفروض عليه الثبات للعدو في آيات الانفال وكما كان فى مشروعية قيام الليل في آيات سورة المزمل وما كان ليكون هذا التدريج بغير تفريق الايات في التنزيل . ومن محاسنها نسخ الحكم

عند انتهاء المصلحة التي اقتضت تشريعه وانقضاء زمنها لحكم آخر انسب منه للبقاء في الازمان كما كان في آيتي المتوفى عنها في سورة البقرة وما كان ذلك ليتأتى الا بتفريق الايات فى الانزال . وكانت الوقائع تقع والحوادث تحدث والشبه تعرض والاعتراضات ترد فكانت الايات تنزل بما تتطلبه تلك الوقائع من بيان وما تقتضيه تلك الحوادث من احكام وما تستدعيه تلك الشبه من رد وتلك الاعتراضات من ابطال الى غير ما ذكرنا من مقتضيات نزول الايات المعروفة باسباب النزول . وفي بيان الواقعة عند وقوعها وذكر حكم الحادثة عند حدوثها ورد الشبهة عند عروضها وابطال الاعتراض عند وروده — ما فيه من تاثير فى النفوس ووقع في القلوب ورسوخ في العقول وجلاء في البيان وبلاغة فى التطبيق واستيلاء على السامعين وما كان هذا كله ليتأتى لولا تفريق الايات في التنزيل وترتيلها وتنضيدها هذا الترتيل العجيب وهذا التنضيد الغريب الذي بلغ الغاية من الحسن والمنفعة حتى انه ليصح ان يعد وحده وجها من وجوه الاعجاز

حظنا من العمل بهذه الحكمة : ان نقرأ القرآن ونتفهمه حتى تكون آياته على طرف السنتنا ومعانيه نصب أعيننا لنطبق آياته على احوالنا وننزلها عليها كما كانت تنزل على الاحوال والوقائع فاذا حدث مرض قلبي او اجتماعي طلبنا دواءه في القرآن وطبقناه عليه واذا عرضت شبهة او ورد اعتراض طلبنا فيه الرد والابطال واذا نزلت نازلة طلبنا فيه حكمها وهكذا نذهب في تطبيقه وتنزيله على الشؤون والاحوال الى اقصى حد يمكننا

اقتداء : انظر الى هذه الحكمة في هذا الترتيل كيف كان تنزل آياته على حسب الوقائع أليس في هذا قدوة صالحة لائمة الجمع وخطبائها في توخيهم بخطبهم الوقائع النازلة وتطبيقهم خطبهم على مقتضى الحال. بلى والله بلى والله . ولقد كانت الخطب النبوية والخطب السلفية كلها على هذا المنوال تشتمل مع الوعظ والتذكير

على ما يقتضيه الحال وأما هذه الخطب المحفوظة المتلوة على الاحقاب والاجيال فما هي الا مظاهر من مظهر قصورنا وجمودنا . فالى الله المشتكى وبه المستعان

الحق والبيان
فى آيات القرآن
« ولا يأتونك بمثل الا جئناك بالحق واحسن تفسيرا »

المناسبة : لما رد تعالى اعتراضاتهم وأبطل شبهاتهم أخبر تعالى بانه لا يزال القرآن كذلك يدمغ باطلهم بحقه فينزهقه . ويصدع غشاء تمويههم بصادق بيانه فيمزقه ، لطمأنة قلب نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وتثبيته وعدا له بدوام النصر والتاييد

المفردات : (المثل) هو الشبه هذا اصله ثم يطلق على الكلام الذي قيل أول ما قيل في مقام ثم لحسنه وإيجازه حفظ وجرى على الالسنة وصار يقال فى كل مقام يشابه مقامه الاصلي الذي قيل فيه اولا لمشابهة المقام الثاني للمقام الاول . ثم صار يطلق ايضا على كل كلام فيه بيان لشيء وتصوير له سواء اطابق ذلك البيان والتصوير الواقع وأتى بالحق أم لم يطابق الواقع ولم يات بالحق وهذا المعنى هو المراد هنا فان المشركين جاءوا بكلمات فى حق الله تعالى وفى حق كتابه وفى حق ملائكته وفى حق نبيه لم يطابقوا فيها الواقع ولا أتوا فيها بحق كقولهم فى الله وملائكته (لولا انزل علينا الملئكة أو نرى ربنا) وفى نبيه « ما لهذا الرسول يا كل الطعام ويمشي فى الاسواق » وفى القرآن « أساطير الاولين اكتتبها » « لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة » فهذه هي أمثالهم التي ضربوها فضلوا . وجاء القرآن بعد كلماتهم الباطلة بكلمات الحق الدامغة مثل قوله تعالى « قل انزله الذي يعلم السر فى السموات والارض » « وما أرسلنا قبلك من المرسلين

إلا انهم ليا كلون الطعام ويمشون في الاسواق » « كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » فهذه هي أمثال الله التي جاءت بالحق وأحسن تفسيرا « التفسير » الكشف عن المعنى .

التراكيب : وصلت الجملة لمشاركتها لما قبلها فى الخبرية والمخبر عنهم والموضوع المتحدث عنه مما جاءوا بـه من الباطل وما رد عليهم به من الحق وجملة جئناك حالية من كاف الخطاب المفعول فى لا ياتونك والحصر بالنفي والا فى تلك الحال والتقدير ولا ياتونك بمثل في حال من أحوالك إلا فى حال مجيئنا لك بالحق وأحسن تفسيرا والتعبير بالمضارع في ياتونك يفيد الحدوث وتجدد الاتيان منهم والتعبير بالماضي فى جئناك مع أنه فى معنى المستقبل يفيد تحقق المجيء وهو المناسب لمقام الوعد والتثبيت .

المعنى : ولا ياتيك يا محمد هؤلاء المشركون وامثالهم بكلام يحسنونـه ويزخرفونه يصورون بـه شبهة باطلة أو اعتراضا فاسدا الا جئناك بالكلام الحق الذي يدمغ باطلهم ويدحض شبهتهم وينقض اعتراضهم ويكون أحسن بيانا وأكمل تفصيلا .

اهتداء : إذا تتبعت آيات القرآن وجدتها قد أتت بالعدد الوافر من شبه الضالين واعتراضاتهم ونقضتها بالحق الواضح والبيان الكاشف فى أوجز لفظ واقربه وابلغه وهذا قسم عظيم جليل من علوم القرآن يتحتم على رجال الدعوة والارشاد أن يكـون لهم بـه فضل عناية ومزيد درايـة وخبرة . ولا نحسب شبهة ترد على الاسلام إلا وفى القرآن العظيم ردها بهذا الوعد الصادق من هذه الاية الكريمة فعلينا عند ورود كل شبهة من كل ذي ضلالة ان نفزع الى آي القرآن ولا إخالنا إذا أخلصنا القصد وأحسنا النظر إلا واجديها فيها وكيف لا نجدها فى آيات ربنا التي هي الحق واحسن تفسيرا .

اقتداء . لنقتد بالقرآن فيما نأتي به من كلام فى مقام الحجاج أو مقام الارشاد فلنتوخ دائما الحق الثابت بالبرهان أو بالعيان ولنفسره أحسن التفسير ولنشرحه أكمل الشرح ولنقربه الى الاذهان غاية التقريب وهذا يستدعى صحة الادراك وجودة الفهم ومتانة العلم لتصور الحق ومعرفته ويستدعى حسن البيان وعلوم اللسان لتصوير الحق وتجليته والدفاع عنه فللاقتداء بالقرآن فى الاتيان بالحق وأحسن بيان علينا ان نحصل هذه كلها ونتدرب فيها ونتمرن عليها حتى نبلغ الى ما قدر لنا منها . هذا ما على أهل الدعوة والارشاد وخدمة الاسلام والقرآن فاما ما على عموم المسلمين من هذا الاقتداء فهو دوام القصد إلى الاتيان بالحق وبذل الجهد في التعبير بأحسن لفظ وأقربه ومن أخلص قصده في شيء وجعله من وكده اعين — باذن الله تعالى — عليه

حشر الكفار
الى النار

(الذين يحشرون على وجوههم الى جهنم اولئك شر مكانا واضل سبيلا)

المناسبة : لما ابطل شبههم بين مآلهم وجزاءهم .

المفردات : (الحشر) السوق والجمع « المكان » المنزل « والسبيل » الطريق

التراكيب : فصلت الجملة لانها بيان لحالهم في الاخرة وهو غير الموضوع المتقدم عرف المسند اليه بالاشارة فى قوله اولئك شر مكانا للتنبيه على ان المشار اليه وهو الذين المتقدم حقيق بما بعد اسم الاشارة من قوله شر مكانا واضل سبيلا بسبب ما اتصف به المشار اليه المتقدم مما دلت عليه الصلة وهو حشرهم على

وجوههم الى جهنم الذي ما أصابهم الا بما قدمت ايديهم ففي الحقيقة هم احقاء بكونهم شرا مكانا واضل سبيلا بسبب ما أداهم الى ذلك الحشر فاكتفى بذكر المسبب عن السبب وافعل التفضيل لم يذكر معه المفضل عليه ليفيد ان مكانهم شر مكان من أمكنة الشر وسبيلهم اضل سبيل من سبل الضلال . واسناد الضلال للسبيل مجاز

المعنى : هؤلاء المشركون القائلون للمقالات المتقدمة ومن كان على شاكلتهم فى الكفر والعناد الذين يجمعون ويساقون الى جهنم مقلوبين على وجوههم اولئك شر مكانا ومستقرا فانهم أهل النار وأضل طريقا فانهم سلكوا طريق الكفر الذي اداهم الى ذلك المستقر .

حديث : اخرج الشيخان عن انس بن ملك رضي الله تعالى عنه أن رجلا قال يا نبي الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال صلى الله عليه وآله وسلم أليس الذي أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على ان يمشيه على وجهه يوم القيامة .

فقه : من هذا الحديث علمنا أنه يجب فيما يرد من الاخبار عن اليوم الاخر ان يحمل على ظاهره ولو كان غير معتاد فى الدنيا لأن أحوال العالم الاخر لا تقاس على احوال هذا العالم .

توجيه : رفعوا وجوههم فى الدنيا عن السجود لله فاذل الله تلك الوجوه فمشوا عليها فى المحشر . ورفعوا رؤسهم كبرا عن الحق فنكسها الله يوم القيامة . ومشوا فى طريق النظر والاستدلال مشيا مقلوبا فمشوا فى الاخرة مشيا مقلوبا فكان ما نالهم من سوء تلك الحال جزاء وفاقا لما اتوا من قبيح الاعمال . وما ربك بظلام للعبيد.

تحذير : فيما يذكره الله تعالى من هذا الجزاء العادل تخويف عظيم لنا من سوء الاعمال التي تؤدي الى سوء الجزاء وخصوصا من مثل ما ذكر فيما تقدم من

ترك السجود والكبر على الحق والنظر المقلوب . عصمنا الله والمسلمين اجمعين بالعلم والدين وهدانا سنن المرسلين آمين يا رب العالمين .

من اكرام الله تعالى عبده ، تحميله اعباء الرسالة وحده

(ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا)

المناسبة : قد استفيد من الايات المتقدمة ما كان يكابده النبي صلى الله عليه وآله وسلم من اذاية قومه وما كان يلقاه من مكابرتهم للحق وتعنتهم بالباطل ، وما كان يعانيه من الجهد الجهيد في انذارهم وتبليغ دين الله تعالى اليهم وقد احاط به الاعداء من كل جانب ولقيته العقبات من كل ناحية وهو في ذلك كله جاهد في القيام بتبليغ الامانة ناهض باعباء الرسالة ماض في تلك السبيل ليس معه من نذير وقد كان ذلك مما تتفسخ له القوى البشرية لولا تاييد من الله فاراد تعالى في هذه الاية ان يثبته في مقامه ويؤنسه فى انفراده فيبين له ان تخصيصه بالقيام هذا المقام العظيم هو لاجل تعظيمه وتكريمه وتخصيصه بالاجر الكثير والثواب الذى ليس له من مثيل

المفردات : البعث الارسال . القرية منازل الناس حيث

يقيمون ويكونون مجتمعاً كبيراً او صغيراً . النذير المخوف من الوقوع في الشر والهلاك

التراكيب : مفعول المشيئة محذوف قياساً وتقدير الكلام ولو شئنا ان نبعث . والبعث في كل قرية منتف بحكم لو لانها هنا تدل على امتناع جوابها لامتناع شرطها

المعنى : لو اردنا لارسلنا في كل بلدة ومصر رسولا ينذرهم ويخوفهم من حلول نقمتنا بهم بكفرهم بنا ومعصيتهم لنا فيخف عنك عبء ماحملت ويسقط عنك بذلك تعب كثير. ولكنا لم نرد ذلك وحملناك انت وحدك أعباء وأثقال النذارة لجميع القرى ليظهر فضلك بعموم رسالتك ويعظم اجرك بعظم جهادك وصبرك ويكثر ثوابك بكثرة من يؤمن بك ومن تود وتعمل ليؤمن بك

حديث : صح عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: « اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي كان كل نبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود. واحلت لي الغنائم ولم تحل لاحد قبلي . وجعلت لي الارض طيبة طهورا ومسجدا فايما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، واعطيت

الشفاعة . » وذكر اللونين الاحمر والاسود لقصد التعميم . هكذا جاء هذا الحديث عن جابر بن عبد الله في صحيح مسلم وجاء فيه من طريق ابي هريرة زيادة « وختم بي النبيون » فتعميم رسالته وختم النبوة به في هذا الحديث الصحيح من طريقيه من مقتضى معنى الآية فانه لما عممت رسالته ولم يكن معه رسول في حياته وختمت به النبوة فلا يكون كذلك بعد وفاته ثبتت له كرامة الخصوصية وعظمة المنزلة وجزالة المثوبة وهو ما كنا بيناه فى معنى الآية .

وما أحسن التفسير تعضده الاحاديث الصحاح

تأسي ورجاء: قد ثبت فى السنة ما يكون من كثرة الجهل وموت السنة وانتشار البدعة وقد ايد ذلك الواقع والمشاهدة . فاذا كان دعاة العلم والسنة وخصوم الجهل والبدعة فلا بد ان يكونوا قليلا فى العدد الكثير خصوصا فى مبدا أمرهم واول دعوتهم ولا بد ان يلقوا ما يلقون ويقاسوا ما يقاسون . ومما يثبت قلوبهم في عظيم مواقفهم تاسيهم بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي جاء وحده بالحق والناس كلهم على الباطل فما زال يجاهد حتى لقي ربه ، ومما يثبت قلوبهم ايضا رجاءهم — اذا اخلصوا

النية واحسنوا الاقتداء — فيما يكون لهم من الاجر العظيم والثواب الجزيل فى جهادهم على قلتهم وفيما يكون لهم من الثواب كذلك فيمن اهتدى بهم وفيمن بذلوا جهدهم في هدايته وكانت لهم الرغبة العظيمة في ايصال الخير اليه. وان لم يرجع اليهم.

عدم طاعة الكافرين. والجهاد بالقرآن العظيم

(فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا)

المناسبة: لما بين له ما خصصه به من الكرامة دعاه الى مقابلة ذلك بعدم طاعة اهل الكفر والثبات على جهادهم بالقرآن.

المفردات: الفاء تفريعية. الطاعة الامتثال للطلب. والجهاد بذل الجهد من ناحيتك في مقابلة من هو باذل جهده في الناحية المقابلة لك هذا مقتضى صيغة فعال

التراكيب: جهادا كبيرا مصدر مبين للنوع المطلوب بصفته وهي كبيرا.

المعنى: لما اكرمناك بعموم رسالتك وختم النبوة بك فقابل هذه النعمة باخلاص الطاعة لربك ولا تطع الكافرين

أعداء الله وأعداءك في ي شيء يدعونك اليه من مقتضيات كفرهم كالرجوع اليهم والسكوت عن بعض كفرهم وابذل كل جهدك في دعوتهم للدين الحق ومقاومة ماهم عليه من الباطل بالقرآن العظيم وجاهدهم بهذا القرآن جهادا كبيرا بتحمل كل ما ياتيك من ناحيتهم من بلاء وإذاية والصبر عليه والثبات على الدعوة والمقاومة

تعميم : كما لا تجوز طاعة الكافرين في شيء مما يمليه عليهم كفرهم كذلك لا تجوز طاعة العصاة فى شيء مما تمليه عليهم معصيتهم لان الجميع فيه مخالفة لدين الله وكما يجاهد أهل الكفر بالقرآن العظيم الجهاد الكبير كذلك يجاهد به أهل المعصية لانه كتاب الهداية لكل ضال والدعوة لكل مرشد ، وفي ذكر الكافرين تنبيه على العصاة من التنبيه بالاعلى على الادنى لاشتراكهم فى العلة وهي المخالفة .

اقتداء : ما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليطيع الكافرين وإنما جاء هذا النهي تهييجا له على تمام مخالفتهم ومعاكستهم في جميع مناحي ومظاهر كفرهم والخطاب وإن كان له فالحكم شامل لأمته فلا يجوز للمسلم أن يطيع كافرا أو عاصيا في أي شيء من نواحي الكفر ونواحي المعصية . وكما أن الجهاد بالقرآن العظيم هو فرض عليه ، فكذلك هو فرض على أمته هكذا على الاجمال وعند التفصيل تجده فرضا على الدعاة والمرشدين الذي يقومون بهذا الفرض الكفائي على المسلمين فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم قدوة لامته فيما اشتملت عليه الاية من نهي وأمر

استدلال : هذه الاية نص صريح في أن الجهاد فى الدعوة الى الله وإحقاق الحق من الدين وإبطال الباطل من شبه المشبهين وضلالات الضالين وإنكار الجاحدين هو بالقرآن العظيم ففيه بيان العقائد وأدلتها ، ورد الشبه عنها . وفيه بيان الاخلاق محاسنها ومساويها وطرق الوصول الى التحلي بالاولى والتخلي عن الثانية ومعالجتها . وفيه أصول الاحكام وعللها وهكذا فيه كل ما يحتاج إليه المجاهد به في دين الله فيستفاد منها كما يستفاد من آيات اخرى غيرها ، ان على الدعاة والمرشدين

أن تكون دعوتهم وإرشادهم بالقرآن العظيم

ميزان : عند ما يختلف عليك الدعاة الذين يدعي كل منهم أنه يدعوك الى الله تعالى فانظر من يدعوك بالقرآن إلى القرآن — ومثله ما صح من السنة لانها تفسيره وبيانه — فاتبعه لأنه هو المتبع للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فى دعوته وجهاده بالقرآن والممتثل لما دلت عليه امثال هذه الاية الكريمة من آيات القرآن

نعمة ومنقبة : قد سمى الله تعالى الجهاد بالقرآن جهادا كبيرا وفي هذا منقبة كبرى للقائمين بالدعوة الى الله بالقرآن العظيم وفي ذلك نعمة عظيمة من الله عليهم حيث يسرهم لهذا الجهاد حتى ليصح أن يسموا بهذا الاسم الشريف (مجاهدون) فحق عليهم أن يقدروا هذه النعمة ويؤدوا شكرها بالقول والعمل . والاخلاص والثبات والصبر واليقين

جعلنا الله والمسلمين منهم وحشرنا فى زمرتهم اجمعين

تعاقب الليل والنهار للتفكير والعمل

(وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكوراً)

المناسبة : لما سأل المشركون بقولهم (وما الرحمن) كما يسالون عن المجهول ذكر لهم القرآن ما يعرفهم به من عظيم آياته وجلائل انعاماته التي هي من آثار رحمته فذكر لهم بروج السماء والشمس والقمر ثم ذكر لهم تعاقب الليل والنهار

المفردات : « خلفة » يقولون خلفت الفاكهة بعضها بعضا خلفا — بالتحريك — وخلفة إذا صارت خلفا من الاولى . وخلف زيد عمرا يخلفه

إذا جاء بعده فى مكانه فالخلفة مصدر وهو لما كان على وزن فعلة دال على الهيأة كالركبة بمعنى الهيأة من الركوب فالخلفة إذن هيأة من الخلوف . فاذا قلت خلفه خلفا او خلوفا فقد اردت مطلق الحدث وإذا قلت خلفه خلفة فقد اردت هيأة خاصة من الخلوف « التذكر » قبول التذكير فان مخلوقات الله مذكرات للعبد بربه فتذكره هو قبوله ذلك التذكير واعتباره واتعاظه بـه « الشكور » مصدر شكر بمعنى القيام بعبادتـه وطاعته لاجل نعمه « او » للتفصيل والتنويع لان المستفيدين من اختلاف الليل والنهار هم المتذكرون والشاكرون فلا تمنع من ان يكون الشخص الواحد متذكرا شاكرا فى آن واحد

التراكيب : خلفة مفعول ثـان لجعل على معنى جعلهما ذوي خلفة وفي الاخبار تقول الليل والنهار خلفة والرجلان خلفة على هذا المعنى أي يخلف أحدهما الاخر وكان مفردا عن الاثنين لأنـه مصدر والجار في « لمن أراد » يتعلق بجعل وكان الجعل لهما لأنهما المستفيدان منه . ولم يكرر الاسم الموصول لأن الشخص الواحد يمكن أن يتصف بالصلتين معا وكرر فعل الارادة لأنها لابد منها في التذكر وفي الشكر وقيل « أن يتذكر » ليفيد المضارع الحدوث والتجدد فان الغفلة مستولية على الانسان والايات المرئية ما تزال تحدث له التذكر وتجدده له . وقيل « شكورا » لمناسبة رءوس الاي

المعنى: يقول تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار ووضعهما يختلفان ويتعاقبان على هياة مخصوصة فى التخالف والتعاقب ليستفيد من ذلك من العباد من أراد أن يتذكر فيعتبر بما فيهما من انتقال وتغير ونظام وتقدير ويستدل بذلك على وجود خالقهما وقدرته وإرادته وعلمه وحكمته ورحمته بمخلوقاته او اراد ان يشكر فيقوم بعبادة خالقه المنعم عليه بجلائل النعم ودقائقها التي منها هذا الاختلاف والتعاقب بين هذين الوقتين الذي لا يصلح حال الانسان ولا تنتظم اعماله ولا

يستقيم عمرانه إلا بـه

فقه لغوي : اختيرت لفظة الخلفة هنا لدلالتها على الهيأة فتكون منبهة على هيأة هذا الاختلاف بالطول والقصر المختلفين فى جهات من الارض وذلك منبه على اسباب هذا الاختلاف من وضع جرم الارض وجرم الشمس وذلك كله من آيات الله الدالة عليه وبتلك الهيأة من الاختلاف المقدر المنظم عظمت النعمة على البشر وشملتهم الرحمة فكانت هذه اللفظة الواحدة منبهة على ما في اختلاف الليل والنهار من آيـة دالة ومن نعمة عامة . وهكذا جميع الفاظ القرآن فى انتقائها لمواضعها

فقه شرعي : لما كان جعل الليل والنهار خلفة لاجل التذكر والعمل كان كل واحد منهما صالحا للعمل الذي يعمل فى صاحبه فمن فاتـه عمل بالليل اتى بـه فى النهار ومن فاتـه عمل بالنهار اتى به في الليل وهذا إذا كان من العادات فهو على سبيل التدارك وإذا كان من العبادات فهو على سبيل القضاء . وقد روى ابن جرير بسند حسن ان رجلا جاء الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال فاتتني الصلاة الليلة فقال ادرك ما فاتك من ليلتها فى نهارك فان الله جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد ان يذكر أو أراد شكورا . ومن هذا ما رواه مسلم والاربعة عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من نام عن حزبـه او عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كانما قراه من الليل.

فقه قرآني : حياة الانسان من بدايتها إلى نهايتها مبنية على هذه الاركان الثلاث : الارادة والفكر والعمل وهي المذكورات في هذه الاية ، لأن التذكر بالتفكر والشكر بالعمل . فاستفادة الانسان مما خلقه الله له وجعله لاجله لا تكون إلا بهذه الثلاثة وهذه الثلاثة متوقفة على ثلاثة اخرى لابد للانسان منها فالعمل متوقف على البدن والفكر متوقف على العقل والارادة متوقفة على الخلق فالتفكير

الصحيح من العقل الصحيح والارادة القوية من الخلق المتين والعمل المفيد من البدن السليم فلهذا كان الانسان مأمورا بالمحافظة على هذه الثلاثة عقله وخلقه وبدنه ودفع المضار عنها فيثقف عقله بالعلم ويقوم اخلاقه بالسلوك النبوي ويقوي بدنه بتنظيم الغذاء وتوقي الاذى والتريض على العمل .

موعظة : قال الامام ابن العربي سمعت ذا نشمند الاكبر — يعني الغزالي — يقول ان الله خلق العبد حيا عالما وبذلك كماله . وسلط عليه آفة النوم وضرورة الحدث ونقصان الخلقة ، إذا الكمال للاول الخالق ، فما امكن الرجل من دفع النوم بقلة الاكل والسهر في الطاعة فليفعل . ومن الغبن العظيم ان يعيش الرجل ستين سنة ينام ليلها فيذهب النصف من عمره لغوا وينام نحو سدس النهار راحة فيذهب له ثلثاه ويبقى له من العمر عشرون سنة . ومن الجهالة والسفاهة ان يتلف الرجل ثلثي عمره في لذة فانية ولا يتلف عمره سهرة في لذة باقية عند الغني الوفي الذي ليس بعديم ولا ظلوم . اه

سلوك : حافظ على العبادات فى اوقاتها واقض ما فاتك واربط اعمالك باوقاتها وتدارك ما فاتك ووجه قصدك الى ما ترى من آيات الله متفكرا ووجه قصدك في جميع اعمالك لله سامعا مطيعا — تكن عبدا ذاكرا شاكرا سعيدا — ان شاء الله — في الدارين . وفقنا الله الى ذلك والمسلمين اجمعين

القرآن يصف عباد الرحمن

الصفة الاولى والثانية

(وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً)

المناسبة : لما تجاهل المشركون الرحمن واستكبروا عن السجود له عرفهم القرآن بالرحمن بخلقه وتدبيره وانعامه كما مضى فى الايات المتقدمة ، ثم عرفهم بعباده الذين عرفوه بذلك فآمنوا به وخضعوا له بما اشتملت عليه هذه الايات من صفاتهم . وكما كانت مخلوقات الله المذكورة سابقا دالة عليه ومعرفة به بما فيها من آثار قدرته وآثار رحمته كذلك كان عباده المذكورون أدلة عليه ومعرفين به باقوالهم وافعالهم وهديهم وسلوكهم ومظاهر آثار رحمة الله عليهم فذكروا بعد ذكر تلك المخلوقات وذكرت هي قبلهم لانها كانت ادلة لهم والدليل سابق على المستدل سبق المستفاد منه على المستفيد . وفي تعريف القرآن لعباد الرحمن بعد تعريفه بالرحمن تشريف كبير لهم وتبكيت لاولئك المتجاهلين المتكبرين ، ووجه آخر فى المناسبة ، وهو انه لما ذكر التذكر والشكر فى الليل والنهار فى الاية المتقدمة ذكر صفات المتذكرين الشاكرين وما اثمره لهم تذكرهم وشكرهم ترغيبا في التذكر والشكر

وقولهم للجاهلين سلاما من مقتضى هونهم ورفقهم فلذلك قرن به وعطف عليه

المفردات : عباد جمع عبد بمعنى المملوك الذليل الخاضع او جمع عابد كصاحب وصحاب وتاجر وتجار بمعنى المطيع والقائم بما يرضي ربه والاول هنا اظهر ، الرحمن المنعم الذي تتجدد نعمه فى كل آن . يمشون على الارض يتنقلون عليها .

هونا هان الامر يهون هونا بمعنى سهل ومنه « هو علي هين » اي سهل وشيء هين على وزن فيعل اي سهل ويقال هين بالتخفيف . ومن صفات المؤمن انه هين لين من الهون بمعنى السهولة فى اخلاقه ومعاملته وفى مسند احمد عن ابن مسعود مرفوعا : « حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس » وهو على ما فسرنا من السهولة فى اخلاقه ومعاملته وذلك هو الذي يقربه من الناس وفسر الهون فى الاية بالحلم والوقار والسكينة والتواضع والطاعة وكلها ترجع الى السهولة واللين وفسر بعدم الفساد في الارض وعدم التجبر والتكبر لانها كلها اضداد للسهولة وللين خاطبهم؛ كالمهم. الجاهلون. السفهاء القليلو الادب السيئو الاخلاق . والجهل ضد العلم ويطلق بمعنى السفه والطيش لانهما عنه ينشآن ومنه قول الشاعر :

الا لا يجهلن احد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومنه الجاهلون في الاية . سلاما . السلام كالسلامة معناهما التعري من الافات والمكروهات .

التراكيب : وصلت الجملة بما قبلها بالواو لاشتراكهما في القصد وهو التعريف بالرحمن وبعباده . وعباد مبتدا والذين خبر واضاف العباد للرحمن تخصيصا لهم وتفضيلا وتقريبا وفيه تعريض باولئك المتجاهلين المتكبرين المبعدين وهونا منصوبا على أنه مفعول مطلق والتقدير مشيا هونا او على انه حال من فاعل يمشون اي هينين ومجيء المصدر حالا كثير ولمصدريته افرد والموصوف جمع ، نظير الزيدون عدل . ويمشون على الارض هونا تركيب كنائي أريد به معناه ولازم معناه فهم يمشون هينين برفق وتثبت لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا وبطرا . هذا أصل المعنى وهو مراد ، ومراد أيضا لازمه وهو سهولتهم وتواضعهم وعدم تكبرهم ورفقهم فى الامور وبعدهم عن الافساد . ومراد لازم اخر أيضا وهو سيرهم في الحياة وتصرفهم في جميع الامور ومعاملتهم للناس فاذا كانوا اهل رفق

وسهولة فى مشيهم في الارض فكذلك هم اهل رفق وسهولة في الامور الاخرى مما ذكرنا لأن الرفق والسهولة خلق فيهم فكما هو في المشي هو في غيره . وكانت الصلة بالمضارع ليفيد التجدد فان المشي في الارض ضروري للانسان وكان المعطوف على الصلة بصورة الشرط لأن خطاب الجاهلين لهم ليس مما يكون دائما وكان التعليق باذا لان مخاطبة الجاهلين لهم بالسوء أمر محقق ومتى سلم أهل العلم والدين من الجاهلين ولم يذكر ما يخاطبهم بـه الجاهلون للعلم بان خطاب الجاهل أي السفيه لا يكون إلا سوءا مما يمليه عليه جهله وسفهه . ونصب سلاما على أنه مفعول مطلق والتقدير قالوا قولا سلاما أي ذا سلام فيشمل كل قول فيه سلامة من الاذى والمكروه كسلام عليكم ويغفر الله لكم وسامحكم الله ونحو ذلك . أو نصب على أنه مفعول به أي قالوا هذا اللفظ سلاما نفسه .

المعنى: يقول تعالى وعباد الرحمن ومماليكه القائمون بحق العبودية له هم أهل الرفق والسهولة الذين يمشون على الارض هينين في مشيهم وفي معالجتهم لشؤون الحياة ومعاملتهم للناس لحلمهم وتواضعهم غير مستكبرين ولا متجبرين ولا ساعين في الارض بالفساد . وإذا خاطبهم السفهاء بما لا ينبغي من الخطاب قابلوهم بالحلم وقالوا لهم سلاما لأنهم سلموا من الجهل فسلم المخاطب لهم من ان يجهلوا عليه ولو جهل أو قالوا لهم من الكلام ما فيه سلامة من الاذى والمكروه

الاحكام : فى الاية استحباب الرفق في المشي وكراهية العنف والاضطراب ومن العنف الضرب بالرجل والخفق بالنعل فاذا كانا بعجب وخيلاء فهو حرام . وفيها الاغضاء عن الجاهل ومقابلة كلمته السيئة بالكلام الحسن . وكراهة مجاراته في خطابه ومماثلته وإذا كان في ذلك فتنة أو مفسدة محققة كان حراما .

تمييز : ليس من الهون فى المشي التثاقل والتماوت فيه وروي أن عمر بن الخطاب (ض) قال لجماعة رآهم كذلك : «لا تميتوا علينا ديننا أماتكم الله» وان

عائشة «ض» رأت قوما يتماوتون فسالت عنهم فقيل لها هؤلاء قوم من القراء فقالت لقد كان عمر من القراء وكان إذا مشى أسرع ، وإذا تكلم أسمع ، وإذا ضرب أوجع وكان مشيه «ض» إلى السرعة خلقة لا تكلفا والخير في الوسط ، وليس هون المشي وحده يعرفك بان صاحبه من عباد الرحمن فرب ماش هونا رويدا وهو ذئب أطلس ولكن بالهون في المشي وبما ذكرنا في فصل التراكيب والمعنى من لوازمه

بيان ورد : اشتملت الاية على بيان الادب فى معاملة الجاهلين من افراد الناس سواء أكانوا مسلمين أم غيرهم وما اشتملت عليه من الادب قد جاء في آيات كثيرة مثل « وأعرض عن الجاهلين » و « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين » فهو أدب مشروع مؤكد وحكم دائم محكم وهو فى معاملات الافراد كما ترى . فلا ينافى ما شرع من الحرب عند وجود أسبابها وتوفر شروطها بين الامم والجماعات وهي من الامور العامة كما ترى فبطل قول من زعم أن هذه الاية بالنسبة لغير المسلم منسوخة بآية السيف لأن هذه الاية ثابت حكمها فى حال وآية السيف ثابت حكمها في حال اخرى فلا تنسخ إحداهما الاخرى . وما أكثر ما قتلت أحكام بآية السيف هذه وهي عند التحقيق غير معارضة لها لمباينة حالها لحالها .

تمثيل واستدلال : جاء في الصحيح من طرق مجموع الفاظها ان رهطا من اليهود دخلوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا السام عليكم « والسام الموت » ففهمتها عائشة رضي الله عنها فقالت وعليكم السام واللعنة وغضب الله عليكم فقال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مهلا يا عائشة عليك بالرفق وإياك والعنف والفحش إن الله يحب الرفق في الامور كلها فقالت له عائشة أو لم تسمع ما قالوا فقال لها أو لم تسمعي ما قلت رددت عليهم . قد قلت « وعليكم » فيستجاب لي فيهم « لأنه دعاء بحق » ولا يستجاب لهم في « لأنه دعاء بباطل وظلم » فقد خاطبه

هؤلاء الجاهلون بالسوء فقال لهم كلمة سالمة من القبح ليس فيها لفظ الاذاية وهو السلام بعيدة عن الايحاش خالصة للرفق فهي من القول السلام أي ذي السلام من مقتضى الاية على الوجه الاولى من وجهيها ففي الحديث مثال لقول السلام في خطاب الجاهل ودليل على عموم الحكم وإحكامه .

سؤال وجوابه : على الوجه الثاني فى الاية وهو أنه يقول للجاهل سلاما يقال هل يسلم عليه إذا كان كافرا فيقال نعم كما قال ابراهيم لأبيه « سلام عليك » وقد قال الله تعالى « قد كانت لكم إسوة حسنة فى إبراهيم » ولم يستثن إلا قوله لأبيه « لأستغفرن لك » نعم هو سلام موادعة ومتاركة لا سلام تحية وكرامة .

لطيفة تاريخية : قالوا ان إبراهيم بن المهدي العباسي كان منحرفا عن علي بن أبي طالب (ض) فرآه فى النوم قد تقدمه لعبور قنطرة فقال له إبراهيم إنما تدعي هذا الامر يعني الخلافة بامرأة يعني فاطمة رضي الله عنها ونحن أحق به منك وحكى ابراهيم رؤياه للمامون وقال له فما رأيت له بلاغة فى الجواب كما يذكر عنه فقال له المامون فما أجابك بـه قال كان يقول لي « سلاما سلاما » فنبهه المامون على هذه الاية وقال يا عم قد أجابك بابلغ جواب فخزي ابراهيم واستحيى اه فرضي الله عن الامام الهاشمي ما أبلغه حيا وميتا .

توجيه وسلوك : القول السلام محمود ومطلوب فى كل حال وإنما خصت حالة خطاب الجاهل لأنها الحالة التي تثور فيها ثائرة الغضب بما يكون من سفهه ومهاترته فعلى المومن أن يكون حاضر البال بهذه الاية عند ما تسوق اليه الاقدار جاهلا فيخاطبه بما لا يرضيه حتى يسلم من شره ويكسر من شرته فيسلم له عرضه ومروءته ودينه ويسلم ذلك الجاهل ايضا من اللجاج فى الشر والتمادي فيه فيكون المومن بقوله السلام وتادبه بادب القرآن قد حصل السلامة للجميع واعظم به من فضل واجر في الدنيا والدين وفقنا الله لذلك والمسلمين اجمعين .

القرآن يصف عباد الرحمن

الصفة الثالثة

(والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما)

المناسبة : لما ذكر فيما تقدم سلوكهم مع الخلق ، ذكر في هذه الاية سلوكهم في القيام بعبادة الحق . وفيما تقدم بيان حالهم عند اختلاطهم بالعباد ، وفى هذه بيان حالهم عند تفردهم لرب العباد .

المفردات : يبيتون من البيتوتة وهي ان يدركك الليل نمت او لم تنم ويقابلها الظلول وهو ان يدركك النهار . السجد جمع ساجد والقيام جمع قائم وهو من الاوزان التي يشترك فيها المصدر والجمع .

التراكيب : الذين عطف على الخبر الاول واعيد لفظ الذين لاستقلال الحالة الثانية عن الاولى وقدم الجار ليفيد تخصيص عبادتهم بربهم ويفيد الكلام عبادتهم وإخلاصهم وقدم سجدا لان السجود اقرب احوال العبد للرب لحديث اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ووقع قياما في موقعه مناسبا للفاصلة .

المعنى : ومن صفات عباد الرحمن انهم يحيون الليل فيبيتون يصلون لربهم يراوحون بين السجود والقيام

بيان وترغيب : هذه الاية من آيات الحث على قيام الليل مثل قوله تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا » وقد بينت السنة المطهرة مقداره فثبت فى الموطا من طريق ابي سلمة عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يزيد في رمضان ولا فى غيره على احدى عشرة ركعة يصلي اربعا فلا تسال عن حسنهن وطولهن ثم يصلي ثلاثا والسلام بعد كل

ركعتين لحديث صلى الليل مثنى وثبت عند مسلم من طريق سعد بن هشام عنها انه كان يفتتح صلاته بالليل بركعتين خفيفتين فتلك ثلاث عشرة وقد ثبت ذلك في الموطا من طريق عروة عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يصلي بالليل ثلاث عشرة ركعة ، وهذا هو الغالب من احواله وقد كان يصلي اقل منه فى بعض الاحوال فقد ثبت عند البخاري من طريق مسروق عنها ان صلاته صلى الله عليه وآله وسلم بالليل سبع وتسع واحدى عشرة سوى ركعتي الفجر ومثل ما جاء عن عائشة من انتهاء ركعاته الى ثلاث عشرة جاء فى الموطا من حديث ابن عباس وجاء فيه ايضا من حديث زيد بن خالد الجهني ، وفي هذه السنة العملية الثابتة بيان للقدر الاكمل الذي يكون به العبد ممن يصدق عليهم هذا الوصف من صفات عباد الرحمن

الصفة الرابعة

(والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم ان عذابها كان غراما ، انها ساءت مستقرا ومقاما)

المناسبة : لما ذكر حسن سلوكهم مع الخلق واجتهادهم في عبادة الحق ذكر خوفهم من ربهم واعتمادهم عليه فى نجاتهم وعدم اغترارهم باعمالهم فهم يأتون ما يأتون من محاسن الاعمال ولا يعتمدون الا على الكبير المتعال

المفردات : الغرام مادة غ ر م تدور على معنى الملازمة مع الثقل والشدة ولذا فسر الغرام بالشر و بالعذاب و بالهلاك الملازم . ساءت بمعنى قبحت مثل بئس لانشاء الذم ، المستقر محل الاستقرار الى الثبوت ، والمقام محل الاقامة اي البقاء .

التراكيب: ساءت فاعله الضمير المخصوص بالذم ومستقرا ومقاما تمييز مفسر للضمير وجملة ان عذابها تعليل للجملة الدعائية وفصلت عنها لكمال الانقطاع بينهما لانشائية الاولى وخبرية الثانية وجملة انها ساءت مؤكدة لمضمون الجملة قبلها

مع اختلاف فى المعنى فان ما افادتـه الاولى من فداحة عذابها وملازمته اكدته الثانية بما افاده من مقامه ومستقرها ففصلت عنها لما بينهما من كمال الاتصال نظير ، ذلك الكتاب لا ريب فيه ، والتاكيد فيهما بان ، لانه قد لوح واشير فى الكلام السابق الى هذا الخبر وشأن السامع لهذا ان يستشرف له استشراف المتردد الطالب فينزل منزلة المتردد فيؤكد له الخبر ووجه التلويح بهذا الخبر انه لما سئل صرف عذاب جهنم كان هذا مشيرا الى قبح هذا العذاب وشدته فهذا نظير ، ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون

المعنى: ومن صفاتهم انهم يدعون الله تعالى ان يصرف عنهم عذاب جهنم لان عذابها عذاب شديد فادح ملح ملازم ولانها بئست المستقر الذي يستقر ويثبت فيه وبئست المقام الذي يقام ويمكث فيه .

رد واستدلال : زعم قوم ان اكمل احوال العابد ان يعبد الله تعالى لا طمعا فى جنته ولا خوفا من ناره وهذه الاية وغيرها رد قاطع عليهم ومثلها قول ابراهيم عليه وعلى آله الصلاة والسلام « والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين» فى نصوص لا تحصى كثرة وزعموا ان كمال التعظيم لله ينافيه ان تكون العبادة معها خوف من عقابه او طمع في ثوابه واخطأوا فيما زعموا فان العبادة مبناها الخضوع والذل والافتقار والشعور بالحاجة والاضطرار واظهار العبد هذه العبودية باتمها ومن اتم مظهر لها ان يخاف ويطمع كما يذل ويخضع ففى اظهار كمال نقص العبودية القيام بحق التعظيم والاجلال للربوبية ولهذا كان الانبياء عليهم وآلهم الصلاة والسلام وهم اشد الخلق تعظيما لله ومن اكثرهم خوفا من الله وتعوذا من عذاب الله وسؤالا لما عند الله وكفى بهم حجة وقدوة وان هذه المقالة تكاد تفضي الى طرح الرجاء والخوف وعليهما مبنى الاعمال لما فيهما من ظهور العبودية بالذل والاحتياج ، ومن دعاء القنوت الثابت المحفوظ « واليك نسعى ونحفد نرجو رحمتك

ونخاف عذابك الجد وهذا ضروري فى الدين . ولكن مثل هذه المقالة إنما يجر اليه الغلو وقلة الفقه في الدين في الكتاب والسنة وما كان عليه هدي السابقين الاولين

اعتبار ونصيحة : إن جهنم هي أقبح مستقر وأقبح مقام . وان الدنيا هي مطية الاخرة فمن ساء مستقره ومقامه فى الدنيا ساء كذلك مستقره ومقامه فى الاخرة وان ملازمة العذاب فى الاخرة على قدر ملازمة المعاصي فى الدنيا فمن لازمها بالكفر ومات عليه دامت له تلك الملازمة ومن لازمها بالاصرار على الكبائر كانت له على حسب ذلك الملازمة . فعلى العاقل أن يحسن مقره ومقامه وان يجتنب كل موطن تلحقه فيه الملامة وان يجتنب مجالس السوء والبدعة ويلازم مجالس الطاعة والسنة وان يسرع بالتوبة مفارقا الذنوب وان لا يصر على شيء من القبائح والعيوب وان يكون سريع الرجوع الى الله ولو عظم ذنبه وبلواه فالله يحب التوابين ويغفر للاوابين جعلنا منهم اجمعين آمين

القرآن يصف عباد الرحمن

الصفة الخامسة

(والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما)

المناسبة : مضى وصفهم بانهم يبيتون لربهم سجدا وقياما ، والصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وتربي النفس على استصغار الدنيا وما فيها وعلى تعظيم الرب والوقوف عند حدوده فلا يعظم شيء من الدنيا عند اهل الصلاة

فيمسكوا عن بذله فى الحق ولا يستهويهم شيء منها فينتهكوا لاجله حدود الله وحرماته ، ولما كان المال هو أعز شيء من هذه الدنيا وهو أعظم سبب لنيل مبتغياتها وصفوا بانهم في تصرفهم فيه على اكمل حال وهى حالة العدل التى اثمرتها لهم الصلاة فلا يمسكونه عن حق ولا يبذلونه فى باطل .

المفردات : انفقوا بذلوا المال في وجه من الوجوه . الاسراف مجاوزة الحد المشروع ، الاقتار والتقتير التضييق القوام العدل بين الشيئين اي المعتدل ما بينهما وسمي العدل بين الشيئين قواما لاستقامة طرفيه واعتدالهما فلا الى هذا ولا الى ذاك

التراكيب : وكان اي هو اي انفاقهم المفهوم من انفقوا بين ذلك خبر كان وقواما حال مؤكدة فلو قيل وكان بين ذلك لكان كافيا ولكن اكد بقوا ما لما فيه من صريح اللفظ المفهم للعدل، والانفاق يكون ولا يكون والشان ان يكون ولهذا علق وكان التعليق باذا وقدم نفى السرف على نفى التقتير لان الاسراف شرهما ففيه مجاوزة الحدود وضياع المال وفي التقتير مفسدته مع بقاء المال

فينفقه فى الخير وقد يبقى لغيره فينتفع به .

المعنى : اذا انفقوا اموالهم لم يتجاوزوا الحد المشروع ولم يضيقوا فيقصروا في القدر المطلوب وكان انفاقهم بين التجاوز والتضييق عدلا مستويا لا افراط فيه ولا تفريط وصفهم بالقصد الذي هو وسط بين الغلو والتقصير وهو الحالة بين الحالتين والحسنة بين السيئتين .

تحديد : الاسراف مذموم فهو ما كان في منهي عنه نهي تحريم او كراهة او في مباح قد يودي اليهما . فالاول كمن أولم وليمة أنفق فيها جميع ماله واصبح بعدها هو واهله للضيعة والحاجة ، والثانى كمن اولم وليمة دعته الى الاستدانة وان كان يظن القدرة على الاداء لان الدين محذر ومستعاذ منه ، والثالث كالاستمرار على ايلام الولائم مع القدرة عليها في الحال مما قد يؤدى الى احد الامرين المذكورين في المآل

والتقتير مذموم ايضا فهو ما كان امساكا عن مأمور به امر وجوب او استحباب او عن مباح يؤدى اليهما ، فالاول كمن يمسك عن اهله شحا حتى يذيقهم ألم الجوع والبرد والثانى كمن لا يذيقهم بعض الطيبات التى يخص

بها نفسه من السوق و الثالث كمن يمسك عن تطييب خاطر زوجته ببعض الكماليات مع قدرته عليها مما قد يفسد قلب زوجته عليه او يحملها على ما لا يرضيه

والقوام العدل هو الممدوح فهو ان ينفق في الواجب والمندوب وما يؤدى اليهما ويمسك عن المحرم والمكروه وما يؤدى اليهما ويتسع فى الحلال دون مداومة في الاوقات واستيفاء لجميع اللذات واستهتار بالمشتهيات

تطبيق : حالة وطننا فى الاعم الاغلب في الولائم والمآتم لا تخلو من السرف فيها الذى يؤدى الى التقتير من بعدها فيكون الاثم قد اصاب صاحبها بنوعيه واحاط به من ناحيتيه والشر يجر الى الشر والاثم يهدى الى مثله وعلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين علق كثير ممن سمعناهم يشكون هذه الحالة آمالهم في معالجتها خصوصا في المآتم حقق الله الآمال . وثم نوع آخر موجود فى غالب القطر ويكثر فى بعض الجبال وهو ان بعض المامورين من بعض شيوخ الطوائف ياتون بثلة من اتباعهم فينزلون على المنتمين اليهم من ضعفاء الناس فيذبح لهم العناق ان كانت ويستدين لشرائها ان لم تكن ويفرغ المزاود ويكنس لهم ما في البيت

ويصبح معدما فقيرا مدينا ويصبح من يومه صبيته يتضاغون ويمسى اهل ذلك البيت المسكين يطحنهم البؤس ويميتهم الشقاء ميتات متعددة فى اليوم . وشر ما فى هذا الشر انه يرتكب باسم الدين ويحسبه الجهال انه قربة لرب العالمين فاما اذا جاء وقت شد الرحال الى الاحياء والاموات وتقديم النذور والزيارات فحدث هنالك عن انواع السرف والتكلفات والتضييع للحقوق والواجبات

نصيحة : فيا ليت الذين تاتيهم تلك الوفود يسألونهم فردا فردا عن حالهم ومن اين جاءوهم بما جاءوهم به من اموالهم فعساهم ان يطلعوا على بؤس اولئك المساكين فترق لهم قلوبهم ويرجعوا اليهم ما لهم او يزيدوهم من عندهم وليقتصروا على من يجدونهم اهل قدرة على ما دفعوه لهم من اموالهم فهذه نصيحة اذا عملوا بها خففت من الشر والبؤس عن الزائرين ومن الاثم واللوم عن المزورين . فهل بها من عاملين ، وفقنا الله والمسلمين

القرآن يصف عباد الرحمن

الصفة السادسة والسابعة والثامنة

(والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون)

سبب النزول : ثبت في الصحيحين — و اللفظ لمسلم — ان عبد الله بن مسعود قال قال رجل يا رسول الله اي الذنب أكبر قال ان تدعو الله ندا وهو خلقك قال ثم اي قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قال قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك . فانزل الله تصديقها « والذين لا يدعون مع الله إلاها آخر الى آثاما »

المطابقة بين الاية وسبب نزولها : تواردت الاية والحديث في الاثم الاول على شيء واحد . وتواردا ايضا في الثاني والثالث الا ان في الحديث ذكر فرد من العام هو شر افراده واكبرها اثما وفى الاية ذكر العام ولا شك ان شر قتل النفس هو قتل الولد لما فى ذلك زيادة على قتل النفس من الخروج عن حنان الفطرة وارتكاب ضد ما توجبه الرعاية والكفالة وسوء الظن بالله المتكفل برزق الخليقة . كما ان الزنى بحليلة الجار هو شر افراد الزنى لما فيه زيادة على الزنى من انتهاك حرمة الجار وخيانة الامانة فانهم ما تجاوروا حتى امن بعضهم بعضا وادخال الفساد على أساس التكوين الاجتماعي في الناس وهو التجاور والتقارب

المناسبة : لما اثبت لهم اصول الطاعات فى الايات المتقدمة نفى عنهم امهات المعاصي في هذه الاية تنبيها على ان الايمان الكامل هو ما تثبت معه الطاعات وتنتفى المعاصي وذلك هو غاية الامتثال للاوامر والنواهي وفيه تعريض بما كان عليه المشركون من الاتصاف بهذه المعاصي من دعائهم آلهتهم مع الله وقتلهم النفس

وارتكابهم فاحشة الزنى . وقدم اثبات الطاعات على انتفاء المعاصي تنبيها على ان من راض نفسه على الطاعة ودانت نفسه بالاخبات والانقياد للاوامر الشرعية ضعفت منه او زالت دواعي الشر والفساد فانكف عن المعصية .

نكتة استطرادية : فمن هنا نعلم ان على المسلم الذي يعمل لتزكية نفسه ان يواظب على الطاعات بانواعها وان يجتهد في حصول الانس بها والخشوع فيها فان ذلك زيادة على ما يثبت فيه من اصول الخير يقلع منه اصول الشر ويميت منه بواعثه .

وجه ترتيب هذه الصفات المنفيات : قامت الشريعة على المحافظة على حقوق الله وحقوق عباده وحق الله على عباده ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئا فمن دعا مع الله غيره واشرك به سواه فقد ابطل حق الله واعدم عبادته ومن قتل النفس فقد تعدى على اول حق جعله الله لعباده بفضله وهو حق الوجود وعمل على ابطال وجودهم وفناء نوعهم وزوال عبادتهم . فلهذا قرن قتل النفس بدعاء غير الله معه . ولما كان الزنى فيه بطلان النسب وفساد الخلق والجسد وذلك مؤد الى الاضمحلال والزوال والشرور والاهوال قرن بقتل النفس فذلك قتل حقيقي وهذا قتل معنوي

المفردات : الدعاء هو النداء لطلب امر أو تنبيه عليه . الالاه هو المعبود حرم الله النفس جعل لها حرمة ومنعة فلا يجوز التعدي عليها ومادة ح ر م تفيد المنع في جميع تصاريفها . الحق هو الثابت من مقتضيات القتل في الشرع .

التراكيب : وصف النفس بالاسم الموصول المعروف الصلة لأن تحريم الله لها أمر مركوز في النفوس معروف للبشر بما جاءهم من جميع الشرائع وكان النفي للفعل بصيغة المضارع للاشارة الى استمرار ذلك النفي .

المعنى : والذين لايدعون ولا يعبدون مع الله الاها آخر فيشركون به سواه في عبادتهم اياه ولكنهم يخلصون له العبادة ويفردونه بالطاعة ويوحدونه في ربوبيته

وألوهيته . ولا يقتلون النفس التى جعل الله لها حرمة وحرم قتلها بالسبب إلا الحق الثابت فى دين الله المعارض لحرمتها المقتضي لقتلها بالزنى بعد الاحصان أو الكفر بعد الايمان او القتل للنفس العمد العدوان . ولا يزنون فياتون ما حرم الله عليهم إتيانه من الفروج ،

مزيد بيان
لتوحيد الرحمن

من دعا غير الله فقد عبده : ما يزال الذكر الحكيم يسمي العبادة دعاء ويعبر به عنها . ذلك لأنه عبادة فعبر عن النوع ببعض افراده وانما اختير هذا الفرد ليعبر به عن النوع لأن الدعاء مخ العبادة وخلاصتها فان العابد يظهر ذله امام عز المعبود وفقره امام غناه وعجزه امام قدرته وتمام تعظيمه له وخضوعه بين يديه ويعرب عن ذلك بلسانه بدعائه وندائه وطلبه منه حوائجه فالدعاء هو المظهر الدال على ذلك كله ولهذا كان مخ عبادته وقد جاء التنبيه على هذا فى السنة المطهرة فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الدعاء هو العبادة ثم قرأ وقال ربكم ادعوني استجب لكم رواه احمد والترمذي وابو داود رحمهم الله والنسائي وابن ماجه . وعن انس(ض)قال قال رسول الله(ص) الدعاء مخ العبادة رواه الترمذي (رح) فتطابق الاثر والنظر على ان الدعاء عبادة فمن دعا غير الله فقد عبده واذا كان هو لا يسمى دعاءه لغير الله عبادة فالحقيقة لا ترتفع بعدم تسميته لها باسمها وتسميته لها بغير اسمها والعبرة بتسمية الشرع التي عرفناها من الحديثين المتقدمين لا بتسميته

من دعا شيئا فقد اتخذه إلاها : لما ثبت ان الدعاء عبادة فالداعي عابد والمدعو معبود والمعبود إلاه فمن دعا شيئا فقد اتخذه إلاهه لأنه فعل له ما لا يفعل إلا للالاه فهو وإن لم يسمه إلاها بقوله فقد سماه بفعله . الا ترى إلى اهل الكتاب لما اتبعوا

أحبارهم ورهبانهم فى التحليل والتحريم — وهما لا يكونان الا من الرب الحق العالم بالمصالح — قال الله تعالى فيهم اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله . وان كانوا لا يسمونهم اربابا فحكم عليهم بفعلهم ولم يعتبر منهم عدم التسمية لهم اربابا بالسنتهم . فكذلك يقال فيمن دعا شيئا انه اتخذه الاها نظرا لفعله وهو دعاؤه ولا عبرة بعدم تسميته له إلاها بلسانه وفى حديث عدي بن حاتم الذي رواه الترمذي وغيره انه قال للنبي صلى الله عليه وءاله وسلم لما سمعه يقرأ هذه الاية انهم لم يكونوا يعبدونهم فقال رسول الله صلى الله عليه وءاله وسلم اليس كانوا اذا حرموا عليهم شيئا حرموه واذا أحلوا لهم شيئا احلوه قال قلت نعم قال فتلك عبادتهم إياهم. قال الامام الجصاص : ولما كان التحليل والتحريم لا يجوز الا من جهة العالم بالمصالح ثم قلد هؤلاء احبارهم ورهبانهم فى التحليل والتحريم وقبلوه منهم وتركوا امر الله تعالى فيما حرم وحلل صاروا متخذين لهم اربابا اذ نزلوهم فى قبول ذلك منهم منزلة الارباب اهـ. وعلى وزانه تقول لما كان الدعاء عبادة والعبادة لا تكون الالاله كان الداعي لشيء من المخلوقات متخذاً اياه إلاها لما نزله بدعائه اياه منزلة الاله سواء دعاه وحده دون الله او دعاه مع الله ، والعياذ بالله

تحذير وإرشاد : ما اكثر ما تسمع فى دعاء الناس « ياربي والشيخ » « ياربي وناس ربي » « ياربي والناس الملاح » وهذا من دعاء غير الله مع الله فاياك ايها المسلم واياه . وادع الله ربك وخالقك وحده وحده وحده وانف الشرك راغم

الوعيد، بالعذاب الشديد

(ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا)

المناسبة : اذا امر القرآن بشيء ذكر فائدته وثمرته للعباد فى الدارين، وكذلك اذا نهى عن شيء ذكر مضرته وسوء عاقبته عليهم فيهما فلما ذكر فى صدر الاية نفي تلك المعاصي عن عباد الرحمن الذي يفيد النهي عنها ذكر هذا الوعيد لبيان سوء عاقبتها وقبح اثرها

نكتة استطرادية : هذه هي سنة القرآن في التربية وهي انجع الطرق في جعل المامور والمنهي يمتثل للامر والنهي من كل نفسه ويعمل لتنفيذهما بعقله وارادته فالتربية التي تنبنى على امتثال الامر والنهي من غير المعصوم والانقياد لهما انقياداً اعمى — مخالفة لتربية القرآن والخير كله فى اتباع القرآن في جميع ما يفيده القرآن

المفردات : اسم الاشارة راجع للثلاثة المذكورة من قبل . يلق يقابل ويصادف ويتل ، أثاماً ، عقاباً جزاء على اثمه فالاثام جزاء الاثم . يضاعف يزاد له على الاصل فيعذب عذابين او انواعاً من العذاب ، يخلد يبقى وطول البقاء يسمى خلوداً كما قالت العرب في اثافي الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الاطلال لا لدوام بقائها اذ لا دوام لها وعلى هذا قول المخبل السعدي

الا رماداً هامداً دفعت * عنه الرياح خوالد سحم

المهان الذليل المحتقر الذي يفعل به ما يذله ويحقره

التراكيب : يضاعف بدل من يلق بدل كل من كل قال الخليل لان مضاعفة العذاب هي لقي الاثام وعندي انه بدل بعض من كل لان لقي العذاب جزاء على تلك الاثام يكون في الدنيا والاخرة ومضاعفة العذاب والخلود فيه تكون في

الاخرة وبهذا تكون الاية قد افادت ان المرتكب لما تقدم من المعاصي؛الشرك وقتل النفس والزنى ينال جزاءه دنيا واخرى وعذاب الاخرة المضاعف المستمر اشد وابقى وهذا هو الجاري على سنة القرآن فى التخويف بسوء عاقبة المعصية عاجلا وآجلا والتنبيه على ان الاجل اشد وافدح من العاجل

المعنى : ومن يات هذه الافعال فدعا مع الله الها آخر اوقتل النفس التي حرم الله بغير حق او زنى فانه يلقى وينال جزاء معصيته فى دنياه وجزاءها في اخراه ويكون عذابه عليها في الاخرة مضاعفاً مزيدا عليه انواع ويستمر فيه باقيا مذللا محقرا

توجيه : انما ضوعف لاهل هذه الكبائر العذاب لان كل كبيرة منها مضاعفة المفاسد والشرور ففى دعاء غير الله الجهل بالله والكفر بنعمة الله والابطال لحق الله وفي قتل النفس تايتم وتيتيم وتاليم لغير من قتل وفتح لباب شر بين اولياء القاتل والمقتول وتعد على جميع النوع وتهوين لهذا الجرم الكبير وفي الزنى جناية على النسل المقطوع وعلى من ادخل عليهم من الزنى من ليس منهم وعلى اصحاب الارث في خروج حقهم لغيرهم وغير ما ذكرنا في جميعها كثير فكانت المضاعفة من باب جعل الجزاء من جنس العمل وهو من مقتضى الحكمة والعدل

تذكر : يذكرنا القرآن بمضاعفة العذاب على كبائر الاثام لنذكر عند ما تحدثنا انفسنا بالمعصية سوء عاقبتها وتعدد شرورها وتشعب مفاسدها ومضاعفة العذاب بحسب ذلك عليها لنزدجر وننكف فنسلم من الشر المتراكم والعذاب المضاعف ونفوز باجر التذكر وثمرة التذكير

جعلنا الله والمسلمين ممن انتفع بالذكرى وسلم من فتن الدنيا والاخرى بمنه وكرمه آمين

القرآن، يصف عباد الرحمن

استثناء التائبين من المذنبين

(الا من تاب و آمن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما)

سبب النزول : اخرج الشيخان عن ابن عباس (ض ما) واللفظ لمسلم قال ابن عباس نزلت هذه الاية بمكة والذين لا يدعون مع الله الهاً آخر الى مهاناً فقال المشركون وما يغني عنا الاسلام وقد عدلنا بالله وقد قتلنا النفس التي حرم الله واتينا الفواحش فانزل الله عز وجل الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحاً الى آخر الاية .

المناسبة : لما ذكر تعالى عظائم الذنوب واكبر كبائرها وتوعد بالوعيد الشديد عليها عقبها بذكر التوبة منها ورغب فيها لينبه عباده على طريق الرجوع اليه وان من تاب منهم الى الله تاب الله عليه .

المفردات : التوبة الرجوع الى الله اي الرجوع من معصية الله الى طاعته وذلك بالندم على ما فات والعزم على عدم العود اليه وهذان من عمل القلب . وبالاقلاع عما هو متلبس به وهذا من عمل الجوارح ، الايمان عند ما يذكر مع الاعمال يراد به تصديق القلب ويقينه واطمئنانه بعقائد الحق ، والعمل الصالح هو العمل الطيب المشروع من طاعة الله على العباد سواء كان من عمل الباطن وهو عمل القلب أو من عمل الظاهر وهو عمل الجوارح والعمل الصالح من ثمرات الايمان الدال وجودها على وجوده وكمالها على كماله ونقصها على نقصه وعدمها على اضطرابه ووشك انحلاله واضمحلاله . التبديل التحويل فتجعل الحسنة مكان السيئة . الغفور الستار للذنوب المتجاوز عنها الرحيم المنعم الدائم الانعام .

التراكيب : الا من تاب استثناء من من يفعل استثناء متصلا لان الذي يتوب من جملة من فعل والفاء في فاولئك تفريعية لتفرع التبديل على التوبة وعاطفة لجملة اولئك على جملة استثنى التي قامت مقامها الا . كما عطفت عليها الجملة الاخيرة جملة وكان . ونظير هذا من يقم منكم فله درهم الا زيداً فله درهمان .

المعنى : يستثنى من ذلك الوعيد الشديد بمضاعفة العذاب والخلود فيه مهانا من رجع الى الله من الشرك وقتل النفس والزنى بالتوبة الصادقة وشفع توبته بالعمل الصالح الدال على صدق تلك التوبة فهؤلاء بتوبتهم وعملهم الصالح يقبلهم الله ويجعل مكان سيآتهم حسنات وكان الله غفورا يتجاوز عن ذنوب عباده فقد تجاوز عما كان منهم من شرك أو قتل أو زنى رحيما منعما على عباده فقد أنعم عليهم بالحسنات مكان ما تقدم من سيآتهم .

ترتيب وتوجيه : يكون العاصي في غمرات معصيته فاذا ذكر الله ووفقه الله أسف على حاله ورجع إلى ربه وهذه أول الدرجات في توبته فاذا استشعر قلبه اليقين واطمأن قلبه بذكر الله صمم على الاعراض عن المعصية والاقبال على الطاعة فاذا كان صادقا في هذا العزم فلا بد ان يظهر أثر ذلك على عمله فلهذا روعيت الحالة الاولى فذكرت التوبة والثانية فذكر الايمان والثالثة فذكر عمل عمل صالح .

تأييد واقتداء : روى الأئمة عن كعب بن مالك (ض) أحد الثلاثة الذين خلفوا أنه لما جلس بين يدي النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما تاب الله عليه قال يا رسول الله ان من توبتي ان انخلع من مالي إلى الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله (ص) أمسك بعض مالك فهو خير لك قال فقلت فاني أمسك سهمي الذي بخيبر . فهذا الصحابي الجليل رأى أن من توبته أن يعمل هذا العمل الصالح ليكون دليلا على صدق توبته كما اقتضته الاية فتايد بفهمه ما قدمنا وكان خير قدوة للتائبين .

وجوه التبديل : لما كانت السيئة لا تنقلب حسنة كان معنى التبديل هو جعل الحسنة مكان السيئة وهذا على وجوه أولها محو السيآت الماضية بالتوبة وكتابة حسنة التوبة وما فيها من عمل باطن وظاهر كما تقدم . وثانيها تركه المعصية وإتيانه بالعمل الصالح فصار يعمل الصالحات بعد ما كان يعمل السيآت . وثالثها أن نفسه كانت بالمعصية مظلمة شريرة فتصير بالتوبة والعمل الصالح منيرة خيرة . فالتبديل فى الكتب والعمل وحالة النفس .

مسألتان أصوليتان

الاولى هل يخرج غير التائب من النار : استثنى الله التائب من مضاعفة العذاب والخلود فيه مهانا فبقي غير التائب للخلود والخلود كما قدمنا في الاية السابقة طول البقاء ولا يقتضي التابيد فقد يكون معه التابيد وقد لا يكون ، فمع التابيد لا خروج ومع عدمه الخروج وغير التائب الذي بقي للخلود المطلق في الاية هو المشرك والقاتل والزاني فاما المشرك فلا خروج له من النار لقوله تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به وأما القاتل والزاني إذا كانا من أهل الايمان فانهما يخرجان بعد شديد العذاب بما معهما من الايمان لأحاديث صحيحة منها ما رواه الشيخان البخاري ومسلم عن أنس (ض) يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان فى قلبه من الخير ما يزن برة ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ذرة . زاد البخاري في رواية قتادة عن أنس من إيمان مكان خير ، وهذا من عدل الله ورحمته فانه أذاقهم من العذاب الشديد والهوان المخزي جزاءهم ، ثم أخرجهم من النار وما أضاع عليهم إيمانهم ، إن الله بالناس لرءوف رحيم

الثانية هل لقاتل النفس ظلما وعدوانا من توبة : ذهب ابن عباس في المشهور عنه الذي رواه الشيخان وغيرهما أنه لا توبة له وقال فى هذه الاية أنها نزلت فى

المشركين وذكر سبب نزولها كما تقدم وقال - إثره — فاما من دخل في الاسلام وعقله ثم قتل فلا توبة له وقال في هذه الاية أنها آية مكية نسختها آية مدنية وهي آية الفرقان (ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) ومراده بالنسخ التخصيص يعني أن لفظة من فى (إلا من تاب) عامة تشمل القاتل فتقتضي بعمومها أن له توبة وأن آية الفرقان التي جاءت فى القاتل خصصتها وأخرجته من عمومها ، قال ابن رشد — بنقل الابي — وإلى هذا ذهب مالك لأنه قال : « لا يؤم القاتل وإن تاب » قال ابن رشد وهذا لأن القتل فيه حق لله وحق للمقتول وشرط التوبة من مظالم العباد رد التبعات أو التحلل وهذا لا سبيل للقاتل إليه إلا بان يعفو عنه المقتول قبل القتل اه وذهب جمهور السلف وأهل السنة الى أن للقاتل توبة ونظروا فى هذه الاية إلى عموم لفظها لا إلى خصوص سبب نزولها وجعلوا عموم « ومن يقتل » فى آية الفرقان مخصصا بمن تاب المستثنى فى هذه الاية فابن عباس خصص من تاب بمن يقتل وهم عكسوا فخصصوا من يقتل بمن تاب ويرجح تخصيصهم العمومات الدالة على قبول التوبة من كل مذنب مثل قوله تعالى (ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما) وقوله (إن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيآت) وقوله (قابل التوب) وحديث التائب من الذنب كمن لا ذنب له في عمومات كثيرة . والظواهر إذا كثرت تفيد القطع

قدوة في الفتوى : قال ابن رشد : كان ابن شهاب إذا سئل يستفهم السائل ويطاوله فان ظهر له انه لم يقتل يفتيه بانه لا توبة له وان تعرف بانه قتل أفتاه بان التوبة تصح . قال ابن رشد وانه لحسن من الفتوى . فهكذا ينبغي مراعاة الاحوال ، فى تنزيل الأقوال فان من لم يقتل يجب التشديد عليه وسد الباب فى وجهه ومن قتل ينبغي ترغيبه في الرجوع الى الله . وفى مراعاة هذا الاصل

والاقتداء بهذا الامام فوائد كثيرة في الحث على الخير والكف عن الشر والحكيم من ينزل الاشياء فى منازلها كانت أعمالا او كانت أقوالا .

ترهيب : ما أعظم هذا الذنب وما أكبره ، ونعوذ بالله من ذنب اختلف ايمة السلف فى قبول توبة مرتكبه وقد أجمعوا على قبول توبة الكافر ، ولعظم شان الدماء كانت اول ما يقضى فيه يوم القيامة بين الخلق فاياك ايها الاخ ان تلقى الله تعالى بمشاركة في سفك قطرة من دم ظلماً ولو بكلمة فان الامر صعب والموقف خطير ،

بشارة التائبين
الى رب العالمين

(ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب الى الله متابا)

المناسبة : لما أفادت الاية السابقة ان التوبة تمحو السيئات ، جاءت هذه الاية اثرها تبين ما لاهلها من جزيل الانعامات وعظيم الدرجات

المفردات : المتاب مصدر كالمرجع

التراكيب: خالف جواب الشرط وهو يتوب فعل الشرط وهو تاب بمتعلقه وهو الى الله ومعموله وهو متاباً ، وعبر بالمضارع في الجواب ليفيد التجدد باعتبار تجدد المثوبات للراجعين الى الله ، ونون متاباً تنوين تفخيم وتعظيم

المعنى : ومن تاب التوبة الصادقة وعمل عملا صالحاً دليلا على صدق توبته فانه يرجع الى الله الذي يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحسن لقاءهم ويجزل ثوابهم — رجوعاً وأي رجوع رجوع العز والتكريم الى الحليم الكريم

ترغيب : دعا الله بهذا عباده المذنبين حتى لا يتسرب القنوط الى قلوبهم وهو محرم عليهم ولا يحول بينهم وبين خالقهم ذنب وان عظم، ورغبهم فى التوبة

بانها رجوع اليه وكفى وان الرجوع اليه فيه من الخير والشرف فوق ما تصوره الالفاظ ، فما أحلمه من رب كريم وما أرحمه بعباده المذنبين ، فهذا داعي الله فاجيبوه وهذا باب الله فلجوه فانكم مهما رجعتم اليه لا تطردوا ومهما قصدتم اليه تقبلوا وتكرموا، اللهم فكما فتحت لنا بابك فوفقنا اليه وتب علينا لنتوب انك أنت التواب الرحيم ،

القرآن، يصف عباد الرحمن

الصفة التاسعة

(والذين لا يشهدون الزور)

المناسبة : لما وصفهم بالصفات المتقدمة الدالة كلها على كمال أخلاقهم ، واستقامة اعمالهم فى ظواهرهم وبواطنهم ، بانبنائها على قوة إيمانهم وصحة علمهم ، فكانوا اهل الحق المتصفين بـه في علومهم وعملهم ، القائمين عليه فى جميع احوالهم — وصفهم هنا ببعدهم عن الباطل ومشاهده ومجانبتهم لاهله .

المفردات : الشهود هو الحضور الذي يكون فيه إدراك بالحواس أو بالبصيرة . والشهادة هي الاخبار عن علم حصل عن شهود . ولا يشهدون يحتمل أن يكون من الشهود وان يكون من الشهادة . والزور أصله الميل ويطلق على الكذب لانه ميل عن الحقيقة وعلى كل باطل من الاقوال والاعمال لانه ميل عن الحق .

التراكيب : إذا كان لا يشهدون بمعنى لا يحضرون فالزور مفعول به واذا كان بمعنى لا يخبرون فالزور مفعول مطلق بعد حذف المضاف والاصل ولا يشهدون شهادة الزور .

المعنى : — على الاحتمال الاول — والذين لا يحضرون مشاهدة الباطل

والاثم من كل مجلس تتعدى فيه الحدود أو تنتهك فيه الحرمات أو يحكم فيه بالجور او تعظم فيه الطواغيت او يدعى فيه بدعوى الجاهلية او تحيا فيه معالم الوثنية او تطمس فيه السنة النبوية او يدعى فيه احد مع الله او يضرع الى سواه . وعلى الاحتمال الثاني — والذين لا يشهدون شهادة الزور ولا يخبرون إلا بالحق الواقع —

ترجيع وترجيح : يلزم من انهم لا يشهدون مشاهدة الباطل انهم لا يشهدون بالزور لوجهين الاول لأنهم إذا كانوا لا يحضرون مجالس الباطل فبالاحرى انهم لا يقولونه ، والثاني ان مشهد شهادة الزور من مشاهد الباطل التي لا يحضرونها . فيكون الوجه الاول اولى لأنه اشمل .

توسع فى البيان : على انه من بلاغة القرآن ان تاتي مثل هذه الايات بوجوه من الاحتمالات متناسبات غير متناقضات فتكون الاية الواحدة بتلك الاحتمالات كانها آيات نظير مجيء الاية بقراءتين : فتكون كآيتين مثل قوله تعالى : (إن جاءكم فاسق بنبا فتبينوا — فتثبتوا) وقوله تعالى في آية الوضوء : (وارجلكم) بالنصب عطفا على الوجه فيفيد غسل الارجل وتلك هي الحالة الاصلية العامة . وبالخفض عطفا على الرءوس فيفيد مسح الارجل وتلك هي حالة الرخصة عند لبس الخفاف . فتكون هذه الاية باحتمالها مفيدة تنزههم عن شهود الباطل وعن شهادته

موعظة : قال جار الله في الكشاف عن هؤلاء الموصوفين من عباد الرحمن : انهم ينفرون عن محاضر الكذابين ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر وأهله وصيانة لدينهم عما يثلمه لان مشاهدة الباطل شركة فيه ولذلك قيل فى النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء فاعليه فى الاثم لأن حضورهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم فى النظر اليه اه وهذا كما قال فان حضور مشاهد الباطل اقرار لأهلها عليها وترك للنهي عن المنكر وقد قال الله تعالى (لعن الذين كفروا

من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه) وقال (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين) فتعم الاية كل ظالم فلا تجوز لأحد مجالستهم مع ترك النكير عليهم ولا يكفي ان ينكر ويجلس لانه يكون ببقائه معهم قد اظهر ما يدل على الرضا بفعلهم ونقض بالفعل إنكاره عليهم بالقول وروى الطبراني والبيهقي باسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (لا يقفن أحدكم موقفا يقتل فيه رجل ظلماً فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه ولا يقفن أحدكم موقفا يضرب فيه رجل ظلما فان اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه) فاخبر ان اللعنة تنزل على الحاضرين لعدم دفعهم واقتضى انهم غير راضين بقاوبهم وأحرى إذا رضوا فلا يجوز من هذا الحديث وغيره حضور الظلم والقبائح مع عدم دفعها ولو مع عدم الرضا بها وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لأصحابه — لما وصلوا الحجر ديار ثمود — «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فان لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم لا يصيبكم ما أصابهم» فاذا كان هذا فيمن ماتوا من أهل العذاب فمثلهم مجالس أهل السوء والفساد فاذا نزلت اللعنة والعذاب عمتهم ومن كان معهم. وشهادة الزور المرادة بالنص على الوجه الثاني أو اللزوم على الوجه الاول من اكبر الذنوب إثما وشر الكبائر مفسدة تنقلب بها الحقائق وتضيع بها الحقوق وتبطل المعاملات وتزول الثقة بين الناس وتتعرض النفوس والاموال والاعراض للاذى والشر وتنعدم طمانينة الناس على ما يعاهدون من انفسهم، وصح عنه عليه وآله الصلاة والسلام أنه قال: «ألا أنبئكم باكبر الكبائر ألا أنبئكم باكبر الكبائر ألا أنبئكم باكبر

الكبائر ، الاشراك بالله وعقوق الوالدين ألا وشهادة الزور وقول الزور وكان متكئا فجلس فما زال يكررها حتى قلنا « شفقة عليه » ليته سكت » فجلس لها وبقي يكررها لعظم شرها وكبر مفسدتها وعظم الاثم فيها على حسب ذلك منها . أعاذنا الله والمسلمين منها ومن كل زور وذي زور

الصفة العاشرة

(واذا مروا باللغو مروا كراما)

المناسبة : ذمى عنهم فيما تقدم حضور مشاهد الزور وأخبر هنا أنهم لا يقفون عند اللغو عند ما يمرون عليه ترفيا في وصفهم بالبعد عن الباطل والاثم والعبث ومجانبة أهله .

المفردات : اللغو مصدر لغا يلغو أي قال باطلا فهو القول الباطل ومثله الفعل الباطل من كل ما لا فائدة فيه ولا نتيجة له مما شانه ان يلغى ويطرح والكريم الخالص العنصر فهو الزكي غير المتدنس ومن مقتضى ذلك حسن اخلاقه واستقامة أعماله وسلامته من الرذائل

التراكيب : كراما حال من فاعل مروا الثاني ليبين وصفهم عند المرور

المعنى : وإذا مروا فى طريقهم بقول يقال أو فعل يفعل مما لا فائدة فيه جاوزوه معرضين عنه ازكياء غير متدنسين بشيء منه ولا ملتفتين لاهله .

موعظة : فى الاقبال على اللغو شغل للبال به وتكدير للخاطر بظلمته وتضييع للوقت فيه ولكل كلمة تسمعها أو فعلة تشهدها أثر في حياتك وإن قل وقد يعقبها ضدها فتنزول بعد ما شغلت وعطلت وقد يردفها مثلها فتثبت وتنمو وتسوء عاقبتها ولو بعد حين ، وبقدر ما تلتفت الى اللغو تلتفت عن كرمك وبقدر ما يعلق بك منه ينقص من زكائك وبقدر ما تتساهل بالوقوف عليه تقرب من الدخول فيه وإذا دخلت فيه واستانست باهله جرك إلى الزور وعظائم الامور وللشر أسباب متواصلة

وأنساب متصلة يؤدي بعضها إلى بعض فينتقل المغرور الغافل من خفيها الى جليها ومن صغيرها الى كبيرها فالحازم من لم يسامح نفسه في قليلها وتباعد كل البعد عنها وعن اهلها وقد هدتنا هذه الايات لنهتدي وذكرت عباد الرحمن لنقتدي والله المستعان ولا توفيق إلا به

القرآن، يصف عباد الرحمن

الصفة الحادية عشرة

(والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا)

المناسبة: لما وصفهم فيما تقدم باعراضهم عن الباطل ومجانبتهم لأهله وبعدهم عنه وصفهم هنا باقبالهم على الحق واكبابهم عليه متفهمين مستبصرين.

الالفاظ: ذكروا وعظوا ونبهوا. بآية ربهم هي آيات القرآن، وفيها التذكير بآيات الاكوان التي ترى بالعيان الخرور هو السقوط كسقوط الساجد، الاصم فاقد حاسة السمع او الذي لا يتدبر ما يسمع فلا ينتفع به وهو المراد هنا. والاعمى فاقد حاسة البصر او الذي لا يعتبر فيما يبصر فلا ينتفع به ويكون الاعمى بمعنى فاقد الادراك القلبي وهو عمى البصيرة وما هنا يحتمل الوجهين الاخيرين

التراكيب : عبر باذا لأن التذكير مما هو واقع محقق كالذي يسمع من القرآن فى الصلاة ومن الخطب في الجمع . وبني الفعل للنائب لأن التذكير بالايات يجب قبوله من اي مذكر كان . وصماً وعمياناً حال من الواو ضمير الجماعة فى لم يخروا والنفي منصب على الحال التي هى قيد فى الكلام واذا كان الكلام مقيداً بقيد كما هنا فان النفى ينصب على ذلك القيد فى غالب الاستعمال العربي ونظيره ما رأيت زيداً راكباً نفياً للركوب لا للرؤية ، ولا يلقاني مسلماً نفياً للسلام لا للقاء . فلم ينف عنهم الخرور وانما نفى عنهم الصمم والعمى عند الخرور .

المعنى : ومن صفات عباد الرحمن انهم اذا ذكرهم مذكر بآية ربهم التي أنزلها على نبيهم (ص) بما فيها من ذكر مخلوقاته وانعاماته وأيامه في أوليائه وأعدائه ووعده ووعيده وترغيبه وترهيبه — أقبلوا عليها وأكبوا على سماعها بئاذان واعية ، وابصار راعية ، وقلوب حاضرة ، وعقول متدبرة ، لا كمن يقبلون عليها ويكبون على سماعها ولكنهم لا يسمعون ولا يبصرون لأنهم لا يعقلون ولا يتدبرون

عموم الحاجة للتذكير : بعد ما ذكر تعالى من صفات عباد الرحمن ما ذكر ذكر استماعهم للتذكير تنبيهاً على ان التذكير محتاج اليه في كل حال فاذا كان الموصوفون بتلك الصفات يحتاجون اليه فغيرهم اولى وذلك لأن الغفلة من طبع الانسان ودوام الغفلة صدأ القلوب وصقالها هو التذكير ،

قبول التذكير من كل مذكر : كما تقبل كلمة الحق من كل قائل كذلك يقبل التذكير من كل مذكر ولو كان المذكر من كمل العباد والمذكر من اوساطهم او ادناهم وفي عباد الرحمن المذكورين في استماعهم اذا ذكروا من اي مذكر — القدوة الحسنة

ما يكون به التذكير : قال الله تعالى (فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي) (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فالتذكير بآيات القرآن والأحاديث النبوية هذا هو التذكير المشروع المتبوع والدواء الناجع المجرب ولذلك تجد مواعظ السلف كلها مبنية عليه راجعة اليه ، والنصح لله ولرسوله وللمسلمين في لزوم ذلك والسير عليه

اقسام الناس عند التذكير: الناس عند تلاوة آيات القرآن على قسمين معرضين ومقبلين . فالمعرضون غير المؤمنين ، والمقبلون على قسمين مقبلين بظاهرهم دون باطنهم ومقبلين بظاهرهم وباطنهم فالمقبلون بظاهرهم دون باطنهم هم المنافقون والمقبلون بظاهرهم وباطنهم على قسمين مستمعين مستبصرين حاضرين متدبرين ، وغافلين غير متدبرين غير سامعين ولا مبصرين ، والاقسام كلها مذمومة الا قسم المقبلين بظواهرهم وبواطنهم المستمعين المستبصرين وهذا القسم هو الذي وصف به عباد الرحمن ، فكانوا مباينين لأهل الاعراض من الكافرين والمنافقين ولاهل الغفلة وعدم التدبر من المؤمنين

تحذير وتنبيه : قد صورت الاية حالة المؤمن بالقرآن الذي ينكب عليه ويتلقاه بالقبول ثم لا يتفهمه ولا يتدبره بحالة الأصم الأعمى فى عدم انتفاعه بما انكب عليه تقبيحاً لعدم التفهم والتدبر من المؤمن للآيات وتحذيراً منه وتنبيهاً على ان الانتفاع بالقرآن الذي تتفتح به البصائر وتتسع به المدارك وتتهذب به الاخلاق وتتزكى به النفوس وتتقوم به الاعمال وتستقيم به الاحوال —

انما يكون بتفهمه وتدبره دون مجرد الانكباب عليه بلا تفهم ولا تدبر

امر وارشاد: الآيات الدالة على طلب التدبر والتفهم لآيات القرآن العظيم كثيرة منها هذه الآية ومنها قوله تعالى (كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب) فعلينا ان نحضر قلوبنا عند سماعها ونستعمل عقولنا في فهمها ونحمل أنفسنا على الاتعاظ بها فاذا صدقت النية وأخلص التوجه فتح على العبد من وجوه العلم والعمل — باذن الله — بما لم يكن له في بال، وان الله وصف هذا الكتاب بأنه مبارك لزيادة خيراته وتيسيره للذاكرين — ترغيباً لنا في فهمه وتدبره واستنزال الخيرات واستزادة البركات منه، فاقبل — ياخي — على القرآن على استماعه وعلى تفهمه والزم ذلك حتى يصير عادة لك وملكة فيك — تر من فضل الله واقباله عليه ما يدنيك — ان شاء الله — ويعليك ويعود بالخير الجزيل عليك، والله نسأل لنا ولكم الاقبال على الله بتلاوة وتدبر كتابه، والتأدب بجميع آدابه حتى نحشر في زمرة احبابه، بمنه وكرمه آمين.

القرآن ، يصف عباد الرحمن

الصفة الثانية عشرة

(والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذريتنا قرة اعين واجعلنا للمتقين اماما)

المناسبة لما وصفهم في الايات المتقدمة بما دل على أنهم أهل خير وكمال في أنفسهم وصفهم فى هذه بما دل على محبتهم الخير والكمال لغيرهم من قرابتهم أزواجهم وذريتهم ومن سواهم، وقدم الازواج على الذرية لانهم الصق ولانهم الاصل

فقه هذه المناسبة : فطر الانسان على محبته لنفسه لتحمله هذه الفطرة على المحافظة عليها والدفاع عنها وتكميلها بكل وجوه الكمال . وكان من مقتضى هذه المحبة رغبته في الوجود والبقاء ومما هو قوة في وجوده ومظهر لبقائه ان يرى الناس على فكره وصفاته وأحواله فيرى نفسه ممثلة في غيره وافكاره وصفاته واحواله باقية ببقاء الناس ، فالخير الكامل من طبعه ومن مقتضى فطرته انه يحب انتشار الخير والكمال في الناس . والشرير الناقص من طبعه ومن مقتضى فطرته انه يحب انتشار الشر والنقص فيهم فلذا كان لازماً لتتميم وصف عباد الرحمن ذكر محبتهم الخير والكمال لغيرهم

ميزان من هذه المناسبة : قد تخفى عليك دخيلة نفس الانسان فيمكنك أن تعرفها بما يجري به لسانه فاذا جرت كلماته بمحبة انتشار الخير والكمال فهو من أهلها واذا جرت بالضد فهو على الضد . فما يحب الانسان انتشاره هو الدليل على صفات نفسه وهو ميزان تزنه به في الشر والخير والنقص والكمال .

المفردات : الهبة العطاء من غير عوض ولا تكون على الحقيقة التامة الا من

الله فهو الغني الوهاب ، من ابتدائية فمن ناحية الأزواج والذرية تكون قرة الاعين ، الازواج جمع زوج وهو يصدق على الرجل والمرأة والنساء شقائق الرجال وهذا الدعاء كما يكون من المؤمنين يكون من المؤمنات كما تصدق الايات المتقدمة على الموصوفين من الصنفين بتلك الصفات . الذرية ما تناسل منهم من ابنائهم وبناتهم وقرئت بالافراد لاتحادها في اصل النسل وبالجمع لاختلافها فى الفروع والانساب ، قرة الاعين بردها ان كانت من القر وهو البرد . وسكونها ان كانت من القرور بمعنى الاستقرار، الامام هو المتبع المقتدى به وافرد لان المراد به الجنس وحسن الافراد من جهة اللفظ لوقوعه فاصلة على وزان ما قبلها وما بعدها ، ومن جهة المعنى ان ائمة الهدى كنفس واحدة لاتحاد طريقتهم بالسير على الصراط المستقيم واتحاد وجهتهم بالقصد الى الله تعالى وحده

التراكيب: قرة اعين تركيب كنائي فاذا كانت القرة من القر فهو كناية عن السرور لان العين في حالة السرور باردة واذا سالت منها دموع في حالة الفرح كانت باردة واذا كان الانسان في حالة حزن فالعين تكون سخنة بسب ثورة النفس وآلامها التي تثير الحرارة فاذا سالت منها دموع الحزن كانت سخنة ومما يقال على هذا اقر الله عين المحق واسخن عين المبطل وجاء عليه قول ابى تمام

فاما عيون العاشقين فأسخنت * واما عيون الشامتين فقرت

فقرة اعينهم على هذا كناية عن سرورهم بازواجهم وذريتهم بما يرونهم عليه من الخير والكمال واعانتهم لهم عليهما واذا كانت القرة من القرور فهي كناية عن سكون النفس بحصولها على ما يرضيها من الازواج والذرية ومعنى هذا ان النفس اذا لم تحصل على ما يرضيها تعلقت بما عند غيرها وتشوفت اليه فتمتد اليه العين ويطمح اليه البصر ، واذا حصلت على ما يرضيها زالت عن ذلك التعلق وانكفت عن التشوف فسكنت العين فلم تمتد الى غير ما عندها ولم يطمح البصر

اليه ، ولهذا كما كان قرور العين كناية عن رضى النفس وسكونها كان امتداد العين كناية عن اضطراب النفس وتشوفها وتعلقها وعليه قوله تعالى : (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى) . فقرة اعينهم على هذا كناية عن رضى انفسهم بما يكون لهم من ازواج وذرية موصوفين بالصفات المرضية من طاعة الله في القيام بوظائف الدين والدنيا وإعانتهم لهم على القيام بها

المعنى : ومن صفات عباد الرحمن انهم يدعون ربهم يسالونه ان يهب لهم ازواجاً وذرية تقر بهم اعينهم بان يكونوا موصوفين بمثل صفاتهم سائرين على منهاجهم معينين لهم على ما هم عليه ، ويسالونه ان يكونوا على اكمل حال فى العلم والعمل والاستقامة يقتدي بهم فيها المتقون

الاحكام : الاول ، التزوج وطلب النسل هو السنة سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسنة اصحابه عليهم الرضوان وسنة عباد الرحمن وليس من شريعته الحنيفية السمحة ؛ الرهبانية . والتبتل وقد رأى قوم من الزهاد رجحان الانقطاع الى العبادة على التزوج والاشتغال بالسعي على الزوج والذرية فرد عليهم ايمة الدين والفتوى بان في التزوج اتباعاً للسنة وفي السعي على الاهل ما هو من أعظم العبادة وفي التزوج تكثير سواد الامة والمدافعين عن الملة والقائمين بمصالح الدين والدنيا وفي هذا ما فيه من الاجر والمثوبة ، وفي التبتل مخالفة السنة وانقطاع النسل وضعف الامة وتعطيل المصالح وخراب العمران وكفى بهذا كله شراً وفساداً

الثاني : سؤال العبد من ربه ان يهب له من الزوج والذرية ما تقر به عينه يقتضى سعيه بقدر استطاعته لتحصيل ذلك فيما ليقوم بالسببين المشروعين من السعي والدعاء فعليه ان يختار ويجتهد عند ما يريد التزوج وان يقصد الى ذات الدين وفى اختياره واجتهاده فى جانب الزوجة سعي فى اختيار الولد فان الزوجة الصالحة

شانها ان تربي اولادها على الخير والصلاح . ثم عليه ان يقوم بتعليم زوجه و أولاده وتهذيبهم و إرشادهم فيكون قد قام بما عليه فى الابتداء والاستمرار مع دوام التضرع الى الله تعالى والابتهال

الثالث : ما تقر به الاعين يحصل بـه الفرح والسرور فالفرح والسرور بما هو خير وطاعة من حيث انه نعمة من الله وفضل — محمود ومشروع ،

الرابع : طلب الرتب العليا فى الخير والكمال والسبق اليها والتقدم فيها مما يدعونا اليه الله ويرغبنا بمثل هذه الاية فيه كما قال تعالى : فاستبقوا الخيرات . لان طلب الكمال كمال ولان من كانت غايته الرتب العليا ان لم يصل الى أعلاها لم ينحط عن ادناها وان لم يساو اهليها لم يبعد عنهم . ومن لم يطلب الكمال بقي فى النقص ومن لم تكن له غاية سامية قصر فى السعي وتوانى فى العمل فالمؤمن يطلب اسمى الغايات حتى اذا لم يصل لم يبعد وحتى يكون في مظنة الوصول بصحة القصد وصدق النية

الخامس : من الدين الاقتداء باهل العلم والعمل والاستقامة فى الهدي والسمت

السادس : لا يكون الامام الا تقياً فاق غيره في التقوى

السابع : ان اقتداء المتقين بايمتهم انما هو في التقوى لانهم ما كانوا ايمة الا بها فالاية أفادت ان المتقين يقتدون بايمتهم وان ايمتهم متقون مثلهم و أكمل منهم في التقوى وان اقتداءهم بهم فى التقوى لا فى غيرها فمن حاد عنها فلا امامة له

تمييز : الخير الكامل المقدم في الخير والكمال المقتدى بـه فيهما إذا طلب الامامة من حيث الخير والكمال نفسهما ومن حيث حمل الناس عليهما بالقدوة الصالحة له فيهما لأن فعل الخير والاتصاف بالكمال دعوة اليهما بالعمل وهي أبلغ من الدعوة بالقول ومن حيث انتشارهما في الناس وسعادة الناس بهما — إذا طلب الامامة من هذه الحيثيات فطلبه مشروع محمود وهو طلب عباد الرحمن المذكور فى الاية ،

وإذا طلب الامامة والتقدم لأجل الترأس والتقدم فهذا طلب مذموم من عمل المتكبرين لا من عمل المتقين ، فعلى الداعي أن يميز هذا التمييز ليخلص القصد في دعائه ويكون على صواب فيه

كلمة عظيمة من إمام عظيم : قال مجاهد التابعي الجليل الثقة الثبت المفسر الكبير : « أيمة نقتدي بمن قبلنا ويقتدي بنا من بعدنا » ذكره البخاري ورواه ابن جرير بسند صحيح . يعني ان الذين يقتدي بهم الناس من بعدهم هم الذين كانوا يقتدون بسلفهم الصالح من قبلهم فالذين أحدثوا في الدين ما لم يعرفه السلف الصالح لم يقتدوا بمن قبلهم فليسوا أهلا لأن يقتدى بهم من بعدهم فكل من اخترع وابتدع في الدين ما لم يعرفه السلف الصالح فهو ساقط عن رتبة الامامة فيه .

سلوك واقتداء : كان الاعرابي الجاهل المشرك يأتي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فيؤمن به ويصحبه يتعلم منه الدين ويأخذ عنه الهدي فيستنير عقله بعقائد الحق وتتزكى نفسه بصفات الفضل وتستقيم أعماله على طريق الهدى فيرجع إلى قومه هاديا مهديا إماما يقتدى به ويؤخذ عنه كما اقتدى هو بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وأخذ عنه . فعلى كل مومن أن يسلك هذا السلوك فيحضر مجالس العلم التي تذكره آيات الله وأحاديث رسوله ما يصحح عقيدته ويزكي نفسه ويقوم عمله وليطبق ما يسمعه على نفسه وليجاهد في تنفيذه على ظاهره وباطنه وليداوم على هذا حتى يبلغ إلى ما قدر له من كمال فيه فيرجع وهو قد صار قدوة لغيره في حاله وسلوكه وطلبه علم الذين وهبوا نفوسهم لله وقصروا أعمارهم على طلب العلم لدعوة الخلق إلى الله هم المطالبون على الاخص بهذا السلوك ليصلوا إلى إمامة الحق . وهداية الخلق ، على أكمل حالة ومن أقرب طريق فاللهم وفقنا واهدنا إلى سنة نبينا . إذا اقتدينا وإذا اقتدي بنا آمين يا رب العالمين

جزاء عباد الرحمن

(اولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاما خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما)

المناسبة وفقهها : لما ذكر في الايات المتقدمة صفاتهم واعمالهم ذكر ما اعد لهم من عظيم الجزاء على تلك الاعمال تنبيها على ما وضعه تعالى بمشيئته وحكمته ورحمته من الارتباط بين هذه الاعمال وهذا الجزاء وافضائها اليه افضاء السبب لمسببه ليسعى الراجون لهذا الجزاء من طريق هذه الصفات وهذه الاعمال كما يسعى لسائر المسببات من طريق اسبابها وتوتى جميع الامور من ابوابها . وفى هذا حث لأهل هذه الاعمال على التمسك بما هم به عاملون . وتنبيه لأهل الغرور على بطلان ما هم به مغترون «والكيس من دان نفسه (قهرها على الطاعة وحاسبها) وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني»

المفردات : يجزون ، يعطون في مقابلة اعمالهم . الغرفة البيت الاعلى فوق بيت وال فيه للجنس فيصدق بالمتعدد

صبروا حبسوا نفوسهم، والباء فيه سببية . يلقون من لقي بمعنى يجدون . ويلقون من لقى بمعنى تلقيهم الملئكة اى تقابلهم وتتلقاهم . تحية دعاء بالحياة . سلاما دعاء بالسلامة خالدين باقين ، مستقرا ، هو المكان الذى ينتهى اليه من غيره ويثبت فيه ، مقاما هو المكان الذى يقام ويمكث فيه.

التراكيب : جملة اولئك مستانفة بيانيا فان تلك الصفات والاعمال تشوق السامع الى معرفة مآلهم وثمرة اعمالهم فيسال عنهما فكانت الجملة جوابا لذلك السؤال المقدر وعرف المسند اليه بالاشارة تنبيها على ان استحقاقه للمسند كان بما تقدم من صفات. وجملة حسنت مستانفة بيانيا لأن من عرف حالتهم من الحياة والسلامة والبقاء يتشوف لمعرفة حال مكان هذه الحياة السالمة الباقية فيسأل عنه فوقعت جملة حسنت موقع الجواب عن هذا السؤال المقدر . وهي انشائية أفادت انشاء مدح الغرف بالحسن وتعظيم ذلك الحسن وقدم المستقر لان اول الحلول استقرار والمقام بـبقاء الاستقرار واستمرار المكث .

المعنى: اولئك الذين ذكرت صفاتهم وافعالهم يعطون جزاء اعمالهم البيوت العلالي في الجنة بسبب صبرهم

وحبسهم لأنفسهم على الطاعات والمجاهدات وكفهم لها عن المعاصي والشهوات وتتلقاهم الملائكة بالتحية والسلام باقين في هذا النعيم المقيم وسكنى علالي الجنة التي هى احسن مستقر ينتهي اليه الانسان ومقام يمكث فيه .

تطبيق حديث وفقهه : « روى الشيخان عن ابي سعيد الخدري (ض) ان رسول الله صلى الله عليه و آله وسلم قال: ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر فى الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم . قالوا يا رسول الله تلك منازل الانبياء لايبلغها غيرهم قال بلى — والذى نفسي بيده — رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين . » فهذا الحديث بين ان اهل الغرف هم أكمل المؤمنين وأعلاهم درجة فى الجنة بهذا المقدار من البعد فهم الموصوفون بالصفات المذكورة في الاية المتقدمة على أتمها ومن لم يكن مثلهم فيها لم يكن فى منازلهم التي جوزوا بها عليها وكان على حسب حظه من الايمان فى منزلة من منازل اهل الجنة الذين يتراءون اهل الغرف . فدرجات اهل الجنة في منازلهم على حسب سلوكهم فى اعمالهم « ام حسب الذين اجترحوا السيآت

ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ، سواء محياهم ومماتهم . ساء ما يحكمون . وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون »

دلالة : دلت الاية على السبب الذي افضى بهم الى هذا الجزاء العظيم وهو أعمالهم ، ودلت على السبب الذي تمكنوا به من القيام بهذه الاعمال وهو الصبر لقوله تعالى « بما صبروا » ومن أعظم الحكمة معرفة الاسباب والمسببات وارتباط بعضها ببعض فلا ينهض بامتثال المامورات وترك المنهيات الا من صبر والصبر خلق من الاخلاق التي تتربى وتنمو بالمران والدوام فواجب على المكلف ان يجعل تربية نفسه عليه وتعويدها به من اكبر همه اذ لا يقوم بالتكاليف الشرعية الا به بل ولا يستطيع الحياة فى هذه الدار الدنيا الموضوعة على المحنة والابتلاء الا اذا تمسك بسببه .

بيان القرآن للقرآن : فى هذه الاية انهم يلقون تحية وسلاماً وقد بين من يتلقاهم بذلك في قوله تعالى « وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » فالملئكة هم الذين يتلقونهم بالسلام والدعاء لهم بالطيب وهو مما يدخل في التحية لان من طيبهم طيب حياتهم . وما اكثر

ما تجد في القرآن بيان القرآن فاجعله من بالك تهتد — ان شاء الله — اليه

اقتداء ورجاء: هؤلاء هم السالكون وما ذكر من أعمالهم وأحوالهم هو سلوكهم ولما سلكوا الصراط المستقيم بالعمل المستقيم انتهى بهم السير الى احسن قرار ومقام الى دار النعيم المقيم في جوار الرحمن الرحيم. فاذا اشتقت الى نهايتهم فتمسك ببدايتهم وزن اعمالك باعمالهم. واحوالك باحوالهم، فاذا جعلت ذلك من همك، وحملت عليه نفسك بصادق عزمك وصبرت كما صبروا رجوت ان تظفر بما ظفروا فالله نسال لنا ولك وللمسلمين صحة الاقتداء وصدق الرجاء وحسن الجزاء « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون ».

قيمة العباد عند ربهم بقدر عباداتهم

(قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما)

المناسبة : قد أفادت الاية السابقة كمال حال عباد الرحمن فى نفوسهم وعقولهم وأخلاقهم وأعمالهم وأفادت عظيم منزلتهم عند ربهم ورفيع ما أعد لهم من درجاتهم جزاء على صالحاتهم وحسناتهم وجاءت هذه الاية تفيد ان ذلك المقام العظيم الذي كان لهم عند ربهم إنما هو بسبب عبادتهم ، وتعلن للناس ان عبادتهم هى الشيء الوحيد الذى يكون لهم به قدر وقيمة عند ربهم وبدونها لا يكون لهم وزن عند خالقهم ولا يكونون شيئاً يبالى به . وان من كذب وخلع بتكذيبه ربقة العبادة فقد حقت عليه كلمة العذاب وهو واقع به لا محالة .

المفردات : ما يعبا بكم ما يبالي بكم . العبء هو الثقل فما عبات به بمعنى ما كان له عندي وزن ولا مقدار وعبات به كان له عندي وزن ومقدار وعدي بالباء لأنه بمعنى ما باليت . دعاؤكم عبادتكم من اطلاق الجزء على الكل . كذبتم كفرتم فلم تعبدوا . لزاماً ملازماً واصل اللزام مصدر لازم واختير هنا للتنبيه على ان بين المكذبين والعذاب ملازمة من الطرفين فهم بتكذيبهم قد ألزموا أنفسهم العذاب فلازمهم العذاب .

التراكيب : جواب لولا محذوف لدلالة ما تقدم وتقدير الكلام لولا دعاؤكم ما عبا بكم وجملة فقد كذبتم واقعة موقع التعليل لكلام مقدر تقديره — والله اعلم — لا يعبا بكم فقد كذبتم اي لانكم قد كذبتم فالفاء تعليلية واما

جملة فسوف يكون فمتسببة عما قبلها فالفاء فيها سببية . وضمير يكون عائد على العذاب المفهوم من المقام

المعنى: قل للذين أرسلت إليهم مايبالي بكم ربي ولا يعبا بكم ولايكون لكم عنده وزن لولا إيمانكم وعبادتكم فاذا كذبتم وكفرتم فهو لا يعبا بكم وسوف يكون العذاب ملازماً لكم بسبب تكذيبكم

تحرير في المخاطب: المخاطبون هم الذين كذبوا ثم ان ما لحقهم بسبب التكذيب من العذاب الملازم فهو خاص بهم وبالمكذبين أمثالهم . وما كان موجهاً لهم من جهة انهم عباد — وهو ان الله لا يعبا بهم لولا دعاؤهم — فهو عام لجميع العباد لمماثلتهم لهم في العبودية لله واستغناء الله عنهم وفرض العبادة عليهم وعدم التقدير لهم الا بها

تفسير اثري : أخرج البخاري في كتاب التفسير . عن عبد الله بن مسعود (ض) قال خمس قد مضين الدخان والقمر والروم والبطشة واللزام . ورواه في مواضع أخرى من صحيحه ، وعنى بالدخان المذكور في قوله تعالى « يوم تاتي السماء بدخان مبين » وبالقمر المذكور في (وانشق القمر) وبالبطشة المذكورة في (يوم نبطش البطشة الكبرى) وباللزام المذكور في هذه الاية . وفسر ابن مسعود البطشة الكبرى بيوم بدر وفسر اللزام به أيضاً فهي في الحقيقة اربع وعدها خمساً باعتبار الوصفين البطش والملازمة . وفسر الحسن اللزام بعذاب يوم القيامة ومن عادة السلف انهم يفسرون اللفظ بما يدخل في عمومه دون قصد للقصر عليه ولا منافاة حينئذ بين التفسيرين فيكونون قد توعدوا على تكذيبهم بلزوم عذاب الدنيا وعذاب الاخرة

ترهيب : رتب لزوم العذاب على التكذيب فاعظم العذاب لاكمل التكذيب وهو تكذيب الكفر ثم اصناف العذاب لازمة لتكذيب العصيان بالعدل والحكمة في التقسيم والترتيب

استنباط : لما كانت مقادير العباد عند ربهم بحسب عبادتهم فالانبياء — عليهم السلام — أعلى الناس منزلة عند الله هم أعظمهم عبادة لله وهم اتقاهم له واشدهم خشية منه . وقد قال النبي (ص) فيما رواه مالك وغيره « والله اني ارجو ان اكون أخشاكم لله واعلمكم بما اتقي » وقال ايضاً « والله إني لاتقاكم لله واعلمكم بحدوده »

سؤال استطرادي وجوابه : كيف يخشى وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر . أجاب العلماء عن هذا باجوبة منه أنه لا يخشى العقاب ولكنه يخشى العتاب ومنها — وهو قول الأكثر — انه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر بشرط امتثاله لما أمر به . ذكر هذين ابن العربي في « القبس » ومنها انها خشية الاجلال ومشاهدة عظمة الربوبية وانه لا يجب عليه تعالى شيء وهذان الحديثان الصحيحان من الأدلة الصريحة عند أهل العلم على ان العبادة الشرعية الاسلامية لا تتجرد من الخوف حتى عبادة أفضل الانبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين

تعليل : الانسان مهيا للكمال بما فيه من الجزء النوراني العلوي وهو روحه ومعرض للسقوط والنقصان بما فيه من أخلاط عناصر جزئه الارضي الظلماني وهو جسده ولا يخلص من كدرات جثمانه ولا ينجو من أسباب نقصانه إلا بعبادة ربه التي بها صفاء عقله وزكاء نفسه وطهارة بدنه في ظاهره وباطنه فبعبادة ربه يكمل فيرقى فى مراتب الكمال ويدنو من الملاء الاعلى عند الرب الاعلى ذي الجلال والاكرام فالله طيب لا يقبل الا الطيب وإليه يصعد الكلم الطيب ولا طيب ولا كمال إلا للعابدين فلا قيمة ولا قبول لغيرهم عند رب العالمين .

إرشاد وتحذير : قد بين لك الطريق الذي يوصلك الى مولاك ، ويرقيك فى مراتب كمالك وعلاك ، وما هو إلا عبادة ربك . فكن عبداً له فى اختيارك واضطرارك وفى جميع أحوالك ، واحذر ان تعتمد على شيء غير عبادته ، واحذر ان تتوجه بشيء من عبادتك لغيره ، ومن عبادتك — بل هو مخ عبادتك — دعاؤك وسؤالك

واستغاثتك فاياك اياك أن تتوجه بشيء منه لغيره تكن دائماً عبداً لله وكن دائماً عبداً له وحده فذلك حقه عليك وذلك السبب الوحيد الذي ينجيك ويعليك

والله نسال أن يقصرنا على عبادته ويديمنا على الاخلاص فى التوجه إليه حتى نلقاه على ملة الاسلام وهدي عباده الصالحين آمين يا رب العالمين

التصحيح

مهما يبذل المصحح من العناية لا يسلم من الغلط وبالاخص عند تعدد غلطات المصنف فمصحح القلم ومصحح الملقط كلاهما معرض للسهو

وفيما يلي بيان الصواب لتصحيح اخطاء في الصفحات والاسطر التالية

ص	س	الصواب
١١	١٦	«وامرت ان اكون من المسلمين»
٢٠	٩	تعرف ان ما
٢٣	٦	كانه لما لم
٢٥	١٠	تمييزنا
٢٧	٢	وابغضها
٢٧	١٢	الفقهية
٢٧	١٦	كله
٢٧	١٨	البدع
٣٢	٣	التثبيت
٣٢	٤	بلازم
٣٢	١٣	بحذف
٣٣	١٦	والحجج
٣٥	٢	ليتاتى
٣٦	٨	ووعدا
٤٤	١	فى اي
٤٤	١٥	الذين
٥٨	١٦	نفي
٥٨	١٧	نفي
٦٢	٦	لله

فهرس

صفحة		صفحة	
٣	خطبة افتتاح		الصفة الاولى والثانية
٦	التذكير	٥٤	الصفة الثالثة
٩	الفرقان	٥٥	« الرابعة
١٣	منزلة الرسالة	٥٧	« الخامسة
١٨	فتنة العباد	٦٢	« ٦، ٧ والثامنة
٢٢	ندامة الظالم	٦٤	مزيد بيان لتوحيد الرحمان
٢٦	شكوى النبي	٦٦	الوعيد بالعذاب الشديد
٣٠	التسلية والتثبيت	٦٨	استثناء التائبين
٣١	تثبيت القلوب	٧٠	مسالتان اصوليتان
٣٦	الحق والبيان فى آيات القرآن	٧٢	بشارة التائبين
٣٨	حشر الكفار إلى النار	٧٣	القرآن يصف عباد الرحمان
٤٠	من اكرام الله عبده		الصفة التاسعة
٤٣	عدم طاعة الكافرين	٧٦	الصفة العاشرة
٤٥	تعاقب الليل والنهار	٧٧	الصفة الحادية عشرة
٤٩	القرآن يصف عباد الرحمان	٩٢	قيمة العباد عند ربهم

للقراء

إصدار هذا الجزء تجديد لذكر فقيد الاسلام والعروبة فضيلة الاستاذ الرئيس سيدي الشيخ عبد الحميد بن باديس، وبعث لآثاره العلمية الخالدة، وتمكين للمستفيدين بالاطلاع على أساليبه فى درس التفسير إحياء لهداية القرآن العظيم.

وبهذا العمل المتواضع تبدأ المطبعة الجزائرية وهي من مؤسساته رحمه الله في تنفيذ ما يعتقد بقية أصحابها أنهم مطالبون به من إحياء آثاره وفي إحيائها حياة.

كان من الواجب أن نبدأ بنشر مجالس التذكير وهي من أهم أبواب مجلة « الشهاب » وكان من الطبيعي أن نبدأ بمقدمات هذا الباب من الجزء الأول ولكن كمية الورق المناسب التي استطعنا الحصول عليها بالتقتير والادخار اضطرتنا للاقتصار على طبع ما نشر فى أعداد من الشهاب تفسيراً لآيات القرآن من سورة « الفرقان ».

والله نسال أن يوفقنا للوفاء للأستاذ عليه الرحمة والرضوان بالثبات على مباديه ونشر آثاره.

أحمد بوشمال　　أبو القاسم خليل

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 095933030